رواية «جلنار بين ثلاثة رجال»

شهرمان: الأمير ٤٠ سنة.

بهروز: الوزير ٤٠ سنة.

قطْبزار: الفارس ٣٨ سنة.

بهادر: فتًى ١٨ سنة.

شابور: سجَّان.

ميزار: أمين سر الإمارة ٥٥ سنة.

رسول القاضي.

ضابط.

جلنار: نَوَرِيَّة راقصة ٢٥ سنة.

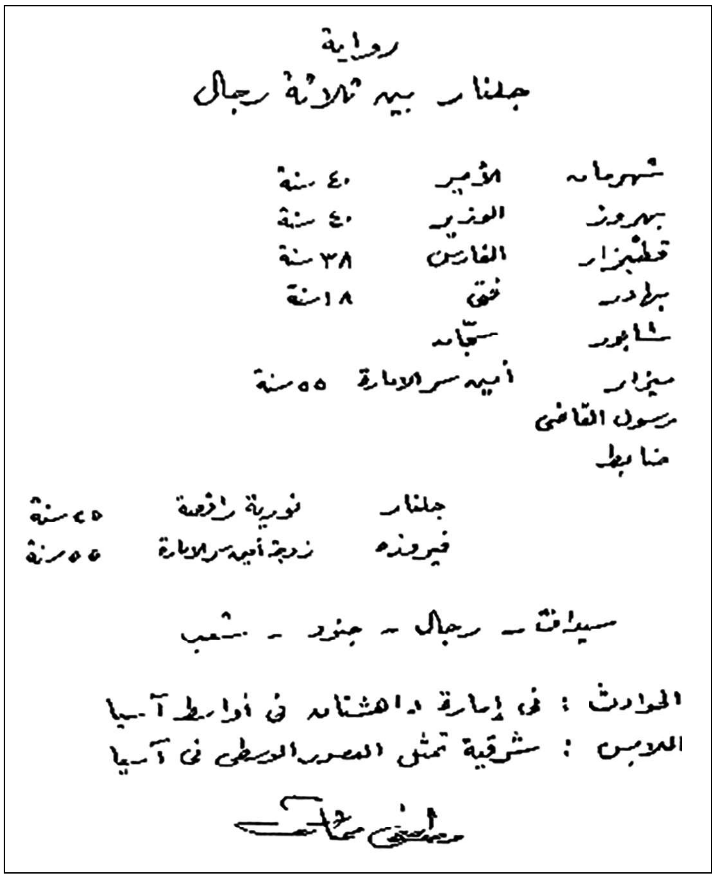
فيروزة: زوجة أمين سر الإمارة ٥٥ سنة.

سيدات – رجال – جنود – شعب.

الحوادث: في إمارة داهشتان في أواسط آسيا.

الملابس: شرقية تمثِّل العصور الوسطى في آسيا.

مصطفى ممتاز



رواية
جلنار بين ثلاثة رجال

شهرمان الأمير ٤٠ سنة
بهروز الوزير ٤٠ سنة
قطنبزار الفارس ٣٨ سنة
بلدر فتى ١٨ سنة
شابور سجان
سيزار أمين سر الإمارة ٥٥ سنة
رسول القاضي
ضابط

جلنار نورية رائعة ٢٥ سنة
فيروزه زوجة أمين سر الإمارة ٥٥ سنة

سيدات - رجال - جنود - شعب

الحوادث : في إمارة داهشتان في أواسط آسيا
الملابس : شرقية تمثل العصور الوسطى في آسيا

صفحة شخصيات مسرحية «جلنار بين ثلاثة رجال» كما جاءت في المخطوطة.

الفصل الأول

(المنظر: ساحة عامة في مدينة داهشتان، خان في الشمال، أشجار إلى الخلف ناحية اليمين، بابان في الشمال غير باب الخان، باب في اليمين.)

(تُرفع الستار عن جمع من المغنين والراقصين وهم يغنون ويرقصون وبينهم جلنار.)

الجميع:

يا أيها الإخوانْ وقتُ الصفا قد حانْ
فامضوا بنا نلهو بالرقص والألحانْ

جلنار:

يا بلبلَ الفَنَن حركت من شَجَني
فارفق بِمُفْتَتَنِ إن الغرامَ هَوَانْ

الجميع:

يا أيها الإخوانْ وقتُ الصفا قد حانْ
فامضوا بنا نلهو بالرقص والألحانْ

جلنار:

يا من لها قلبي أسرفتِ في عَتْبي
رُحماك بالصبِّ يا ربَّة الإحسانْ

الجميع:

يـا أيـهـا الإخـوانْ وقتُ الصفا قد حانْ
فامضوا بنا نلهو بالرقص والألحانْ

جلنار والجميع:

كُفِّـي الـملامَ ولا تصغي لمن عذَلا
وحـقـقـي الأمَـلَا إذ حسبيَ الهجرانْ

(قبل نهاية الغناء يدخل الأمير مرتديًا عباءة وملثَّمًا فلا يُرى منه إلا عيناه، وينظر إلى جلنار باهتمام. الوزير بهروز ملثَّمًا يدخل في نفس اللحظة من الباب الأول الشمال، وهو يراقب الأمير عن بعد. جلنار معها طار.)

جلنار (للأمير)**:** إحسان يا سيدي، إحسان! (الأمير يُخرج كيس نقوده) لَعلِّي قد فقدت خاصِّيتي في إخراج الدراهم من الجيوب! (الأمير يلقي قطعة ذهبية في طارها ويخرج مسرعًا من اليمين) لا لا! ماذا؟! قطعة ذهبية! دينار! نعم، ومع ذلك كنت أخشى أن أقترب من هذا الفارس الشريف؛ لما يلوح عليه من الكآبة والأسى (تلتفت إلى الجمع وتحادثه كأنها تقصُّ عليه حسن حظها).

بهروز (في الشمال وهو ينظر خلف الأمير)**:** لم تخدعني عيناي، فإنه الأمير، وهذه هي المرة الثالثة التي رأيته فيها يقتفي أثر هذه النَّوَرِيَّة الجميلة، وكأني به وقد فتنته بجمالها الساحر!

جلنار: نعم أيها الأصحاب اليوم هو يوم عيدي؛ ولذلك جعلت هذه الدراهم وقفًا على اللهو والسرور (ترمي إليهم نقودًا) خذوا! خذوا! وسأشاطركم اللهو حالًا (يدخلون الخانْ، أما هي فتتردد لحظة، ثم تفكر قليلًا) قطعة ذهبية! إن غنائي أو رقصي لا يساوي مثل هذا المبلغ العظيم!

بهروز (يقترب منها)**:** إن سعود طالعك جعلك تفكرين.

جلنار: سيدي! أوه! لا لا.

بهروز: ألم تأخذي قطعة ذهبية؟ (يعطيها قطعة) هذه أختها.

جلنار: لي أنا؟

بهروز: نعم أيتها الجميلة، لك أنت.

جلنار: شكرًا لك يا سيدي، ولكن …

بهروز: ولكن ماذا؟

جلنار: ولكني أخاف بريق هذا الذهب الوهَّاج (تمسك القطعة في يدها) ولما كنت صغيرة، كنت أنقل قدميَّ برشاقة وخفةٍ طبيعيتين، وكان غنائي الشجيُّ مرآةً لقلبي الطروب الفرح. أما الآن، فإن الآمال والمخاوف التي أثقلت قلبي وأثقلت خطواتي جعلت مكافأتي على إنشادي ورقصي أكثر من ذي قبل، وهذا هو ما يخيفني.

بهروز: لست أفهم ما تعنين!

جلنار: ولن تفهمه يا سيدي. ولكن أتظنني وأنا امرأة جميلة أجهل ما أنا عليه من الجمال؟ إن الرجال ليحدثونني عن جمالي ألف مرة في اليوم، وتبعًا لما تقضي به طبيعة المرأة أتقبَّل منهم هذا الثناء، كما أني أحاول أيضًا أن يزيد جمالي؛ ليكون فتنةً للناس ومعبودًا.

بهروز: ما زلت لا أرى لمخاوفك سببًا.

جلنار: آه! ها أنت لم تفهم بعد. اعلم يا سيدي أن هذه الراقصة التي تجوب الطرقات لأجل إدخال السرور على قلب الجماهير لا تجهل منزلتها بين الرجال، فأنا أتصيَّد المال من الجيوب ليكون وسيلة أكسر بها أغلال ضَعَةِ قدري؛ لأني أطمع في مستوًى أرقى مما أنا فيه، وكأن كلَّ كلمةِ مديح أو ثناء، ريحٌ تهبُّ على نار مطامعي فتُذكيها، وكلَّ هِبة أُعطاها ليست إلا وقودًا يزيد تلك النارَ لهيبًا وضرامًا.

بهروز (لنفسه)**:** تالله إنها لضالتي!

جلنار: أفلا يحق لي إذن أن أخشى عاقبة أمري؟

بهروز: لست أرى ذلك.

جلنار: لستَ ترى ذلك؟ وها أنت تراني أُغرَى بالمال (تُريه القطعة الذهبية) ولي مطامع مستكنَّةٌ في نفسي! إني مذ لَفَتَ جمالي نظر أميرة البلاد، ازدادت آمالي، وقويت أطماعي.

بهروز: دعيني أتنبأ لكِ بما ستنالينه في المستقبل من الرفعة والجاه، إن لكِ كلَّ ما صَبَتْ نفسك إليه.

جلنار: كلَّ ما صبت نفسي إليه؟

بهروز: إني لقادر على أن أجعلَ أحلامَك حقيقةً ملموسة، وأن تُصبحَ رغباتك قانونًا يسري على رقاب الأشراف.

جلنار (على حدة، مبهوتة من السرور)**:** أكاد أختنق من ضيق أنفاسي!

بهروز: هلمِّي معي، فغدًا سترين مجد هذه الإمارة (يأخذ يدها).

جلنار: لا لا (صوت بوق ناحية الباب الأول الشمال).

أصوات في الخارج: فلتحيا سمو الأميرة! فلتحيا سمو الأميرة!

جلنار: آه! سمو الأميرة! لن أثق إلَّا بها (تخرج مسرعة من الباب الأول الشمال).

بهروز: صدقت أيتها الحسناء! لقد كابدت الدهر، فلم أرَ أمرًا أشدَّ من محاولة التغلب على المرأة (يفكر) إنها لقطعة من العدم، ولكنَّ الأمير مفتون بها فُتُونًا، ومتى أصبحتْ حظيَّتَه فإنها لا تنسى فضل الرجل الذي رفعها إلى منزلة الأشراف، وليس أمامي إلا عقبة واحدة، وهي أن جلنار وضيعة الأصل، وهذا ما يجب كتمانه، وستعلم الأميرة خطأها، ثم لا تلبث أن تتغلب عليها طبيعتها النسوية فأحظى بجمالها دون ذلك الذي لا يقدرها (يطلع قليلًا) ولكن هل يا ترى أستطيع تحقيق آمالي الهائلة؟!

أصوات في الخارج (ناحية الباب الأول الشمال)**:** أمسكوه! أمسكوه!

بهروز: ما هذه الضوضاء؟! (ينظر ناحية الضجيج) لعلهم أتباع جلنار؟ هل هي معهم؟ وعندما رأوها التزموا الصمت. (وهو ينظر إلى الخارج) من هذا الشخص الغريب؟!

(يدخل قطبزار من الخان يتبعه جمهور صاخب، وجلنار تحضُّهم على الابتعاد عنه، فيخرجون من حيث دخلوا. تخرج جلنار بعدهم.)

قطبزار (في اليمين)**:** أوغاد! تالله لولا أني خشيت أن ألوِّثَ سيفي بدمهم النجس، لمزَّقت جمعهم شرَّ ممزق (إلى الخارج ناحية جلنار) ولولا حضورك أيتها الراقصة الجميلة، لتمكَّن ذلك السفل من إغماد خنجره في جسم الفارس قطبزار الشريف النبيل (لنفسه) ولكن أين سبق لي أن رأيت هذه المرأة؟ آهْ تذكَّرت، فقد رأيتها لأول مرة في مدينة سمرقند، وكنت إذ ذاك فتًى متهتكًا مفتونًا بحمرة شفتيها (يخطو شمالًا).

بهروز (لنفسه)**:** حقًّا لم تخدعني عيناي، فهذا الفارس قطبزار الذي كان زميلي في الدراسة في سمرقند.

قطبزار (يتفقَّد جيوبه)**:** ولا درهم! لقد جرَّدني أولئك السفلةُ المقامرون من كل دراهمي، كأنهم من الأشراف والنبلاء، فليس لي إذن إلَّا أن أعتمد على السماء في غطائي، وعلى الأرض في فراشي. وعلى ذلك فستكون ليلتي سعيدة.

بهروز: ألست الفارس قطبزار، أم تراني أخطأت (يرفع اللثام)؟

قطبزار: نعم، أنا قطبزار، أوَلست بهروز؟

بهروز (يمد له يده)**:** نعم أنا بهروز.

قطبزار (على حِدَة)**:** ملابس فاخرة ثمينة، فماذا عساه يريد مني؟!

بهروز: لقد افترقنا وكنتَ إذ ذاك فتًى شابًّا وأحسنَ حالًا منك الآن!

قطبزار: يظهر أنك لاحظت تغيُّر حالي (ينظر إلى ملابسه) إني دائمًا مغرم بالتغيير والتبديل.

بهروز: ولقد ورثتَ ثروة طائلة وحزتَ لقب الفروسية؟

قطبزار: حقيقةً، فاحتفظت باللقب وأضعتُ الثروة، فهل أنت في حاجة إلى لقبي؟

بهروز: لا شكرًا لك، وإنما أظن أنك قد أتيت أعمالًا عظيمة يا قطبزار!

قطبزار: لقد عملت كثيرًا، وإذا لم تصدقني فاسأل دائنيَّ.

بهروز: ولكن سبق أن أباك دفع عنك ديونك، عندما كنت في سمرقند.

قطبزار: هذا صحيح، فرحمة الله عليه، ولكن تبعًا لحكم العادة استدنت ديونًا جديدة.

بهروز: يظهر أنك اشتريت حياة اللهو بأبهظ الأثمان!

قطبزار: ربما. ولكني قد أرحت بالي من كل ما يشغله، فأنا الآن لا أمتلك مالًا؛ ولذلك لا يضايقني أحد من أقاربي الفقراء، ولا أمتلك أرضًا، فلا يتذمَّر لي المستأجرون، وليس لي وِجهة معينة، فلا أخطئ الطريق، وليس لي من أعوله إلَّا سيفي (يشير إلى غمده المكسور) وهو حاد بطبيعته.

بهروز: ولماذا تركت سمرقند؟

قطبزار (بحنان)**:** سمرقند! مسقط رأسي، وحيث نشأت وترعرعت، وحيث استمتعت بالسرور واللهو، وحيث أضعت كلَّ شيء (يخفي وجهه بين يديه صامتًا) نعم، تركتها حيث لم يعد لي بها مقام، وأرض الله واسعة.

بهروز: تلك غلطتك.

قطبزار: كلَّا، فقد خدعتني الأيام، وإني وإن كنت قد أضعت كل شيء، فما زلت أحتفظ بمن يذكرونني؛ وأولئك هم الدائنون، والدائنون لا يموتون، بل كل يوم يزيدون.

بهروز: وكيف ذلك؟

قطبزار: إن لأكثرهم أبناءً، وما أكثرَ أبناءَ الدائنين! وهؤلاء يرثون مضايقتي ومطالبتي فيما يرثون عن آبائهم.

بهروز: وعلام عوَّلت للارتزاق؟

قطبزار: لم أعوِّل على شيء قط (يخرج جيوبه الفارغة) وليس معي ما أقامر به حتى المتسولين في الطرقات.

بهروز: إذن فَلَهْوُك الآن قليل؛ لأن اللهو يقتضي النفقة!

قطبزار: إني لقانع بما تصل إليه يدي، فإنه ليس أسهل عليَّ من خلق سبب للمشاحنة مع أي إنسان، والمشاحنة تجر إلى القتال، وفي القتال تسلية لي ولهو (يخطو شمالًا).

بهروز: وفي هذا أيضًا أرى الحظ يعاكسك.

قطبزار: وكيف ذلك؟

بهروز: لأن عندنا هنا في داهشتان لا يجوز القتال، ومن يقاتل رجلًا فيقتله يُحكم عليه بالإعدام.

قطبزار (مندهشًا)**:** ماذا؟! يُحكم بالإعدام لأجل ضربة سيف! تالله لقد تسفَّل بنو الإنسان.

بهروز: لا لا! فهذا قانون أميرنا هنا في داهشتان.

قطبزار: إنه لقانون جائر حقًّا، لا سيما على من كان حادَّ الطبع، ولا يُهدئ ثورة دمه إلا السيف! ولكن قل لي يا بهروز، فيما تشتغل؟ ما حرفتك؟

بهروز: أنا ... أنا ... لا شيء (يضع اللثام).

قطبزار: إذن فنحن لا نزال في مستوًى واحد!

(يدخل الفتى بهادر ومعه رجل آخر من الباب الثاني الشمال.)

الرجل: هذا صحيح يا بهادر، فقد أساءوا معاملتك.

بهادر (في الوسط)**:** شكرًا لك يا أخي، شكرًا لك، ولا تظن أني ناكر فضلك؛ وليس لي إلا أمنية واحدة، وهي أن أموت (يذهب شمالًا. بهروز يفكِّر على حدة).

قطبزار (إلى بهادر)**:** تتمنى الموت، قبل أن تنبت لحيتك؟

الرجل: نعم يا سيدي؛ فقد حاول أن يلقي بنفسه إلى الماء ليموت غرقًا.

قطبزار (مندهشًا)**:** يموت غرقًا! ويستبدل بهذه الدنيا الزاهرة ماءً وطينًا؟! إن هذا لمدهش جدًّا! في مثل هذا الشباب، وتتمنى الموت؟! لا أظن أن لك مثلي دائنين حتى تكره الحياة!

بهادر: كلَّا يا سيدي، وإني أشتغل في تنظيف أسلحة حرس الأمير.

قطبزار: هذا لا يدعو لأن تغرق نفسك.

بهادر: نعم يا سيدي، ولكن حدث في هذا الصباح أن قائد الحرس ادَّعى أني أهملت السلاح، وقرر أن أُجلَدَ خمسين جَلدة.

قطبزار (بحدة)**:** خمسين جَلدة!

بهادر: لا يهمني المقدار يا سيدي؛ لأني لا أكترث للألم، ولكن جَلدة واحدة تكفي لإسقاط شرفي.

قطبزار: ومن أي البلاد أنت يا فتًى؟

بهادر: من سمرقند يا سيدي.

قطبزار: إنك لشريف حقًّا، وقد وجبت علينا معونتك (إلى الوزير، بلا تكليف) يجب أن نتوسَّط له يا بهروز!

بهادر: لقد تدخل أحد الضباط في أمري، ولكن على غير جدوى.

قطبزار (بشيء من الزهو)**:** يجوز! ولكني لا أظن قائد الحرس يرفض رجاء رجلين من الأشراف مثلنا (يأخذ ذراع بهروز).

بهروز: أرجو أن تعفيني (يسحب ذراعه بلطف) لأن لديَّ من الأسباب ما يمنعني عن التدخُّل في هذا الموضوع.

قطبزار (بثقة)**:** أوه، لا بأس! ويمكن للغلام أن يعتمد على نفوذي أنا (صوت وقع أقدام ناحية الباب الأعلى الشمال).

بهادر (ينظر ناحية الباب الأعلى الشمال)**:** آه! إنهم يقتفون أثري، وسيقبضون عليَّ (يحاول الهرب).

قطبزار (يمسك بهادر)**:** بل ابْقَ هنا! وَقِفْ خلفي، فنحن سندافع عنك (بعظمة).

بهروز (منكرًا)**:** نحن!

قطبزار: نعم، نحن قطبزار وسيفه (يشرع أن يستل سيفه).

بهروز: وهل نسيت قانون الأمير؟

قطبزار: قبَّح الله ...! (يترك السيف.)

(صوت بوق، يدخل القائد وجنود من الباب الثاني الشمال، ويذهبون إلى الخلف ناحية اليمين.)

القائد: ها هو أسيركم، فاقبضوا عليه (يهم الجنود بالتقدم).

قطبزار (يتدخَّل بخضوع)**:** لحظة واحدة أيها القائد، اسمح لي أن أرجوك بكل خضوع أن تعفو عن هذا الغلام!

القائد (إلى الجنود الذين توقفوا، وبدون اكتراث إلى قطبزار)**:** لماذا لم تتقدموا أيها الجند؟! (يتقدم الجنود.)

بهادر: الرحمة، الرحمة يا مولاي القائد!

قطبزار: ألا تسمع رجاء الغلام؟ إنه يرجو العفو، واسمح لي أن أضم رجائي إلى رجائه!

القائد (إلى بهادر)**:** عُد إلى عملك أيها الغلام، فإني لا أكترث لدموعك ولا لتطفُّل هذا السكِّير الوقح.

قطبزار (بحدة)**:** ماذا؟ (يثوب إلى رشده) لعنة الله على ذلك القانون! حبذا لو لم نكن في داهشتان (بهدوء) ولكن، لو عاد إلى عمله، لا تضر به؟ انظر إلى دموعه، إن هذه الدموع لا تُذرف من العيون بسهولة، لا سيما وأنه غلام شجاع (القائد يذهب يمينًا) فاعفُ عنه (يمسك عباءة القائد من خلف).

القائد (يستخلص عباءته)**:** دعني (يقطع المسرح).

قطبزار (بغضب)**:** أتجسر ... (يتغلب على عواطفه) القانون! القانون الملعون!

بهروز (إلى قطبزار همسًا)**:** هذه كلمات جارحة يا قطبزار.

قطبزار (يطلع إلى القائد)**:** كلمة واحدة! أنت رجل شريف، وجنديٌّ أيضًا، كذلك أنا، ولقد وقفتُ شرفي على حماية هذا الغلام، فهل فهمت؟ ولقد رجوتك وتوسلت إليك أن تعفو عنه.

القائد: وقد أجبتك (يذهب شمالًا).

قطبزار: كلَّا! وما رجوتك لأجله سدًى سأناله بالقوة.

القائد: وقح!

قطبزار: كفى! ورغمًا عن قانون الأمير، يجب أن أصل إلى غرضي أيها القائد.

القائد: كيف؟

قطبزار: كيف؟ بسيفي، سيفي الذي يشرِّف سيفَك بملامسته! فأنا الفارس قطبزار من سمرقند، وقد سارت الركبان بشجاعتي وفعالي، وقد توسَّلت إليك بمذلة وخضوع، فأهنتني وأهنت قانون الأمير (يجرد سيفه).

القائد: أتدعوني إلى القتال؟

قطبزار: نعم، وإذا رفضت دعوتي تكون إما نذلًا أو جبانًا!

القائد: سأجعلك تعترف بشجاعتي، هلمَّ معي أُرِكَ البرهان (يخرج من الباب الثاني الشمال).

بهادر (في اليمين)، (إلى قطبزار)**:** أتقاتل في سبيلي! لا لا! ها أنا عائد يا قطبزار.

قطبزار (في الوسط إلى اليمين)**:** عد إلى الضابط الذي توسَّط لأجلك ولم يُرضه أن تُجْلَد فيهان شرفك، واصبر قليلًا؛ إذ بعد عشرة دقائق سأجعله قائد الحرس (يخرجون جميعًا من الباب الثاني الشمال إلا بهروز).

بهروز: لقد كان قطبزار أمهر لاعب بالسيف في سمرقند، فإذا كان محتفظًا بأسبقيته فسيكلَّل مشروعي بالنجاح قريبًا. وما دام القانون نافذًا، فإن شجاعة قطبزار ستكون أهم وسيلة لرقي جلنار ورفعها من هذا المستوى. آه، ها هي قد أقبلت، ها هي فاتنة أمير داهشتان ومعبودته!

(تدخل جلنار من الباب الأول الشمال متشحة بوشاح زاهي اللون.)

جلنار: لقد ابتسمت لي الأميرة مرة أخرى، وليس ما أراه في عالم الآمال بخيالٍ قط، ولا بد أن حادثًا سيرفعني إلى الدرجة التي تشبع مطامعي (ترى بهروز) آه! أنت لا تزال هنا يا سيدي!

بهروز: نعم. وأتمنى لو أن تكاشفيني بما يجيش في صدرك، فجعلك تبتسمين هذه البَسَمات العذبة!

جلنار: الأميرة يا سيدي، الأميرة! انظر يا سيدي (تُريه الوشاح) حتى لا تظن أني ضننتُ على نفسي بما جُدتَ به عليَّ.

بهروز: وهل ترين نفسك سعيدة باقتناء مثل هذا الشيء التافه؟ ثقي بي، وبعد قليل ترين أجمل امرأة في بلاط الأمير تطأطئ لك رأسها.

جلنار: لا أستطيع أن أستمع لك، ولا أجسر على مطاوعة قلبي فيما يوحي به إليَّ.

بهروز: ولماذا؟

جلنار: إن حياة التجوُّل قد علَّمتني حقائق أكثر مما يسمح لي سنِّي بتعلُّمه، فعرفت أن الرجل الغنيَّ ينبذ اليوم ما كان يعبده بالأمس (تصمت قليلًا) لا لا (بحزن) إني لا أجهل مستقبلي.

بهروز: إنك لا تثقين فيما تتنبئين به لنفسك، ولكِ أن تكذِّبي مَن يتنبئون لك بعلم الغيب، إنما اسمحي لي أن أُريَك حِذْقي في معرفة علم الكف، هاتي يدك (يتناول يدها) ستكونين في الغد ... ستكونين زوجة فارس عظيم!

جلنار (جَذِلة)**:** زوجة فارس ...(تسكت لحظة) لعل ذلك في الأحلام!

بهروز: كلَّا، بل في اليقظة، إنك لا تعرفينني وإلَّا لما شككت في أن لي من القوة والنفوذ ما هو كفيل بتحقيق ما أحييته فيك من آمالك (يرفع اللثام) أنا بهروز؛ الوزير الأول في بلاط الأمير شهرمان أمير داهشتان.

جلنار (مأخوذة)**:** أنت!

بهروز: نعم أنا. ولقد أنقذتِ الآن من أيدي عصابتك رجلًا لا تعرفينه.

جلنار: نعم نعم. ولقد سبق له أن دفع عني إهانة كادت تلحق بي؛ ولذلك وفيت ديني له.

بهروز: ولو أنه الآن كما ترين إلَّا أنه نبيل شريف، وهو يحبك يا جلنار.

جلنار (متأثرة): أتقول حقًّا يا سيدي؟!

بهروز: لقد وعدته أن أكلمك بشأنه، حتى إذا وافقت على أن تحملي اسمه الشريف، فإني أعيد إليه مكانته الأولى.

جلنار: وهل تستطيع ذلك؟

بهروز: ألم أقل لكِ إني الوزير الأول في إمارة داهشتان، أفلا أستطيع أن أفعل ما هو أكثر؟

جلنار (حالمة): أيمكن أن أصبح ...

بهروز (متممًا): تصبحين في مكانة رفيعة، وفضلًا عن ذلك، فأنا مكلَّف من قِبل مولاتي الأميرة أن أرفع النَّوَرِيَّة جلنار إلى مرتبة الشرف والمجد.

جلنار: أتقول حقًّا؟

بهروز: وقبل أن تشرق شمس الغد سأجعلها حقيقة (يبدو التأثر على جلنار).

جلنار:

أتُراكَ يَقْظَى أم تُراني نائمة؟!

بهروز:

بل أنت يَقْظَى، فانظري! ... ...

جلنار:

... ... بـل حـالـمـة!

لـو أن آمـالـي جـمـيـعًـا حُـقِّـقـتْ ... وغدوتُ في ظلِّ الحياةِ الناعمة

لاهتز قلبي شاكرًا فضل الذي ... أسدى الجميل ولم أكن بالظالمة

بهروز (بهروز ينظر إلى الخارج ناحية الشمال. لنفسه): آه! لا يزال طالعي سعيدًا، فقد فاز قطبزار، وها هو بين أيدي الجنود (يسرع ويأخذ جلنار ويخرج بها من اليمين) يدك أيتها الحسناء، ودعيني أرقى بك إلى قمة الشرف (في نفس اللحظة يدخل قطبزار بين يدي الجند).

قطبزار:

ماذا جنى　　قُطْبُزارْ!

الجنود:

هـيـا فـمـا　　يُجدي اعتذارْ

قطبزار:

إن كـــــــان　　ذَنْبي نجدتي
لـلـضـعـيـف　　ونــصــرتـــي
هــيـا فــمــا　　في الموت عار!

(ستار)

الفصل الثاني

(المنظر: سجن في مدينة داهشتان، بابان في الشمال وآخر في اليمين، منضدة صغيرة في الوسط إلى اليمين، مقاعد، ساعة حائط كبيرة تشير إلى الساعة الخامسة.)

(ترفع الستار عن قطبزار وبهادر جالسين في اليمين.)

بهادر: يُقبَض عليك، وتقدم إلى المحاكمة، ويحكم عليك، كل ذلك في ساعة واحدة، ولم يبقَ من حياتك إلا ساعتان!

قطبزار (ينظر إلى الساعة وهو جالس في اليمين)**:** نعم لم يبقَ إلَّا ساعتان، فكيف أقضيهما؟ أكاد أموت من السآمة والضجر (يتناول كرسيًّا ويجلس في الشمال الوسط. بعد برهة سكوت) لو كنت في مركزي، ولم يبقَ من حياتك إلا ساعتان، فكيف تقضيهما؟

بهادر: أقضيهما في تذكار ذنوبي الماضية.

قطبزار: في ساعتين؟! يظهر أنك لا تعرف تاريخ حياتي! أذكر ذنوبي! لا، ليس في الوقت متسع لذلك، بل الأَوْلَى أن أكتب وصيتي ... ولكن كتابة الوصية لا تستغرق دقيقة واحدة!

بهادر: آه يا سيدي (يتناول يده ويبكي) لقد كنتُ أنا سببَ ذلك كله؛ ولأجلي أنت الآن تموت، فهلَّا يمكنني أن أقوم لك بأية خدمة تكون دليلًا على أسفي لما حلَّ بك، أو برهانًا على شكري لك؟ (يمسك عباءته).

قطبزار: نعم يمكنك أن تخدمني خدمة جليلة.

بهادر: كيف يا سيدي؟ (بلهفة) قل لي بربك (يتشبث بالعباءة).

قطبزار: باحترام عباءتي قليلًا؛ فقد تمزقت في سبيلك!

بهادر: وا أسفاه! ألا يوجد من يطلب إلى الأمير العفو عنك؟ إني لم أرَ إلى الآن أحدًا توسَّط لدى الأمير من أجلك.

قطبزار: كلَّا يا فتى؛ فإنهم ليسوا كلهم غير مكترثين لما يصيبني، فقد حدث مرة أن شيخًا وقورًا قد جلَّله الشيب رمى بنفسه أمام عربة الأمير في سمرقند تحت سنابك الخيل، وقد مدَّ ذراعيه المرتعشتين، وزادته الدموع المنحدرة على وجنتيه الشاحبتين جلالًا ووقارًا، وبصوته المتقطع الْتَمَس لي العفو من الأمير قائلًا: «اعْفُ يا سمو الأمير عن قطبزار!»

بهادر: لعله الفارس أبوك يا سيدي؟

قطبزار: كلَّا. بل أحد الدائنين، فانظر الآن إلى مبلغ خطئك في الظن!

بهادر: ولكني للآن لم أرَ أحدًا من إخوانك الأشراف أتى لزيارتك.

قطبزار: هذا دليل على شرف عواطفهم يا بهادر؛ لأنه يشقُّ عليهم أن يروني في هذا الموقف المحزن، فمن باب الشفقة بي وبأنفسهم يفضِّلون عدم زيارتي وأنا على هذا الحال.

(يدخل بهروز.)

بهروز (وهو ينزل يمينًا): إلَّا أنا (يشير إلى بهادر فيخرج يمينًا).

قطبزار: بهروز!

بهروز: يظهر أن زيارتي أدهشتك، ولكني أحب ألَّا تظنَّ بي سوءًا، فإني صديقك دائمًا، بدليل زيارتي لك الآن بعد أن قُضي كل شيء.

قطبزار: لو كانت زيارتك خالصة حقًّا، لكنت زرتني قبل الآن بقليل. ومع ذلك فإني أعترف لك بأني إذا كنت أرجو التعزية من أحد فأنت آخر من أرجوها منه.

بهروز: إني لا أزال مستعدًّا لخدمتك؛ إذ لم يبقَ من حياتك إلا ساعتان.

قطبزار: عفوًا (ينظر إلى الساعة وهي خمسة وربع) بل ساعة وثلاثة أرباع الساعة؛ ومع ذلك فالخطأ لا قيمة له، ويجب أن ننظر إلى الحقائق بقدر ما يُستطاع من السرعة؛ لأن الحياة قصيرة جدًّا.

بهروز: إن ما بقي من حياتك يكفي جدًّا لأن نتفاهم، فدعنا نجلس لأني أحب أن أحادثك قليلًا.

قطبزار: بكل سرور (يجلسان) ووقتي كله رهن تصرفك.

بهروز: اسمع يا قطبزار!

قطبزار: نعم يا بهروز.

بهروز: لو كان في قدرتي أن ألبِّي أي طلب، فماذا تطلب إليَّ قبل موتك؟

قطبزار: ماذا أطلب قبل موتي؟ أطلب الحياة بلا شك!

بهروز: بصفتي كبير وزراء الأمير وأحبهم إليه وصديقَك أيضًا، سأعرض عليك اقتراحًا، فإذا قَبِلتَه فإني أقسم لك بشرفي أني مستعد لتلبية كل ما تطلبه، إلَّا الحياة، فلا أستطيع أن أعدك بها.

قطبزار: إذن فلا قيمة لكل ذلك؛ لأني كنت على وشك أن أطلب الحياة بلا ريب.

بهروز: أوَليس لك رغبة أخرى؟

قطبزار: كلَّا … ولكن انتظر، عندما دخلتَ الآن، ألم ترَ غلامًا؟

بهروز: لعلَّك تعني الغلامَ الذي أنت مدين له بموقفك الحاضر؟

قطبزار: نعم، فإياه أعني، وإني لمدينٌ له حقيقةً بما أنا فيه الآن، كما أني مدين لكل إنسان، ورغبتي هي ألَّا يُتركَ هذا الفتى تحت رحمة الأقدار بعد موتي، فهل تَعِد بمساعدته؟

بهروز: أعدك بذلك.

قطبزار: هذا كرم منك، فأقدِّم لك أَلْفَ شكر.

بهروز: أليست لك رغبة أخرى؟ فكِّر قليلًا.

قطبزار (بعد لحظة)**:** أظن أنه ليست لي رَغَبات.

بهروز (على حِدَة)**:** لم يطرق باب مشروعي بعد. (له) قطبزار، ألم تفكر في الكيفية التي ستُعدم بها؟

قطبزار: كلَّا. وعلى كل حال فإني أعرف كل شيء (يقف) فالمسألة مسألة حَبْل! آه، ولكن حبذا لو كان موتي بالسيف أو الرصاص! بهروز، لي رغبة واحدة!

بهروز: وما هي؟

قطبزار: أحب ألَّا يتزاحم دائنيَّ على المشنقة، وليكن موتي من رَصاص ستة من الجنود الشجعان الأبطال؛ وبالاختصار، أحب أن أموت شريفًا.

بهروز: لك ذلك.

قطبزار: حذارِ أن تخدعني؟

بهروز: أقسم لك بشرفي.

قطبزار: لقد منحتني حياة جديدة (مستدركًا) أقصد أن أقول، إنك قد خففت عني نصف غضاضة الموت، إنما يجب أن يكون الجنود الستة من الأبطال، وأحب أن أشرب معهم أولًا.

بهروز: تشرب معهم، وأنت الفارس قطبزار؟

قطبزار: لقد شربت مع مَن هم أحطُّ من ذلك بكثير، هذا بصرف النظر عن أني ولو كنت الآن أشرف منهم إلا أنهم سينالون مني. ولقد وعدتني بتنفيذ رغبتي.

بهروز: وما زلت على وعدي، وسآمر الآن بإعداد وليمة لك، تذكِّرك بولائم لهوك فيما سلف من أيامك، فماذا تريد أيضًا؟

قطبزار: هذا كل ما أريد، فقل لي الآن شروطك، وما تريده مني (يجلسان).

بهروز: إني لا أشترط شروطًا ثقيلة، لا سيما وأنت في مثل هذا الموقف، وغاية ما أريده هو أن تتزوج (الساعة تدق النصف بعد الخامسة).

قطبزار: أتزوَّج! وما الفائدة من الزواج لمدة ساعة ونصف؟

بهروز: هذا سرٌّ غامض.

قطبزار: حقًّا إنه لسرٌّ غامض، ولا أظن أن الغرض من هذه الزوجية هو المال؛ لأني معَدم، ولن أخلِّف شيئًا يورَث من بعدي، اللهم إلَّا ديوني واسمي. آه! إن اسمي لا يزال له شيء من القيمة، وقد فهمت، فإن إحدى النساء تريد أن تحمل اسمي، أليس كذلك؟

بهروز: ربما.

قطبزار: لا بأس. وستحمل هذا الاسم لأنه لا يفيدني شيئًا. وبما أني أحب أن أملأ وقتي بالحوادث فالزواج حادث لا بأس به، وحيث إن مدة الزوجية قصيرة، فلن يقع فيها بيننا شيء من الخلاف أو الخصام.

بهروز: إذن فقد اتفقنا!

قطبزار: نعم، ومستعد أن أورثها كل ما أمتلكه في سمرقند، إذا كنتُ أمتلك هناك شيئًا! وبهذه المناسبة، أحب أن تبوح لي باسم زوجتي، وهل هي صغيرة وجميلة؟

بهروز: لا تسأل شيئًا.

قطبزار: آه فهمت (يقف) إذن فزوجتي في نحو الخمسين. ولكن هذا لا يهم ما دمت قد اتفقت على ذلك، وسأتزوج وعيناي مغمضتان.

بهروز: لا، بل سأكفيك مئونة ذلك بنقاب كثيف على وجهها؛ حتى لا يتيسر لها أن ترى وجهك.

قطبزار: شكرًا لك على رقَّة عواطفك، فإنك في الحقيقة ستكفيني مئونة النظر إلى مقدار التضحية التي سأضحيها، كما أنك ستكفي المسكينة آلام النظر إلى حالة زوجها.

بهروز: ولكن ملابسك هذه لا تصلح للزفاف.

قطبزار: هذه ملابس السفر (ينظر إلى ملابسه فاحصًا) مبقَّعة قليلًا، ولكني لبستها لأني لا أملك سواها.

بهروز (يطلع إلى الشمال)**:** لقد أعددت لك الملابس التي تليق بالزفاف، وفي الغرفة المجاورة تجد كل ما أعددته لأجلك (يخرج قطبزار شمالًا. الساعة السادسة إلا ربع) رجال السياسة العاديون يدعون مثل هذا الرجل يموت دون أن يستفيدوا منه شيئًا، أما أنا، فبحذقي ودهائي سأجعله وسيلة أنال بها ما أرجوه وأتمناه (ينادي) شابور (يدخل شابور من اليمين) فلتولمْ هنا وليمة في الحال، وأرسل لي الفتى بهادر الذي دخل مع السجين (يخرج شابور من اليمين) ها قد كادت تصدق نبوءتي لكِ يا جلنار الجميلة! وهذه الخطوة ستدنيك من الأمير، وليس بينك وبينه الآن إلَّا أن يموت ذلك السكِّير المسرف، وبعدها أنال كل شيء.

بهادر: هل أرسلتَ في طلبي يا سيدي؟

بهروز: نعم، اقترب مني يا فتى، هل والداك على قيد الحياة؟

بهادر: كلَّا يا سيدي. فوا أسفاه!

بهروز: أوَليس لك أصدقاء؟

بهادر: لا صديق لي إلَّا شخص واحد، ولأجلي سينفَّذ فيه الليلة حكم الإعدام، نعم لأجلي وفي سبيلي!

بهروز: تعني قطبزار، إنه لصديقك حقًّا، وبناءً على رغبته سأدخلك في خدمتي اليوم، بل من الآن.

بهادر: من الآن؟ بل اسمح لي يا سيدي أن أبقى في خدمة قطبزار المدة الباقية له في الدنيا.

بهروز (على حدة)**:** يا له من وفيٍّ أمين! يُوثَق به ويُعتمد عليه. (له) فليكن ما تريد، وابتداءً من الغد سيكون منزلي مأواك.

بهادر: وابتداءً من الغد سأقوم على خدمتك بمنتهى الوفاء والأمانة كما أخدم اليوم قطبزار.

بهروز: إذن فاذهب الآن، وقل لقطبزار أن ينتقي ستة من الجنود، ليكونوا ضيوف وليمته (يخرج بهادر من الشمال، تدق الساعة الآن السادسة).

بهروز (وحده)**:** الساعة الآن السادسة، وبعد ساعة واحدة يُعدم قطبزار (يُخرج ورقة من جيبه) وهذه الورقة تتضمن عفو الأمير عن قطبزار، وسأعلنها بعد ساعة من تنفيذ الحكم فيتحدث الناس عن منزلتي لدى الأمير، ويقولون إن الذي أخَّر إعلان العفو هو حادث غير منتظر، ولا يعلم سر هذا الحادث إلَّا أنا (يدخل بهادر من اليمين).

بهادر: لقد أُعِدَّ كل شيء يا مولاي، وقد انتقى قطبزار ضيوف مأدبته.

(يدخل قطبزار من الشمال بملابس فاخرة.)

قطبزار: انظر الآن يا بهروز، كأن هذا الخز والديباج وهذا الذهب الوهاج قد خُلقت لي أنا، ألا ترى ذلك؟ (أثناء ذلك يدخل الخَدَم يحملون مائدة نفيسة، تحوي زجاجات الخمر والأقداح والورود ... إلخ، ويخرجون من اليمين كما دخلوا.)

بهروز: بلا ريب! وها هي مأدبتك الفاخرة!

قطبزار: آه! خمر وذهب! كأني أرى صحيفة من حياتي الماضية! كل شيء هنا، ولا ينقصني إلَّا الجواري الحسان. الجواري الحسان! هذه الكلمة تذكِّرني بزوجتي التي حدثتني عنها.

بهروز: حقًّا. ولكن الوقت قصير، وبعد قليل سأحظى بتقديمك لزوجتك.
قطبزار: شكرًا لك (يخرج بهروز يمينًا)، (إلى بهادر) ادْعُ ضيوفي الأعزاء!

(بهادر ينحني ويقف لدى الباب اليمين ويشير إلى الجنود أن يدخلوا. يدخل ستة من الجنود ببنادقهم ويحيُّون بها قطبزار تحيةً عسكرية ويسندونها إلى الحائط في الخلف.)

الجنود (ينشدون):

عِمْ مساءً قُطْبزارْيا　　ابن أشرافٍ كبارْ
أنت صِنْوٌ للمعالي　　أنت خِدْنٌ للفخارْ

قطبزار: شكرًا لكم أيها الرفاق. اجلسوا اجلسوا (يجلسون حول المائدة وقطبزار في الصدر) واملئوا كئوسكم؛ لأني بعد أقل من ساعة سأضطر إلى مفارقتكم؛ لأني على موعد هام كما تعلمون، هاها (يرفع كأسه في يده) آه، أيها الكأس! يا صديقي منذ صباي، لئن كنا قد افترقنا منذ عهد بعيد، إلَّا أننا نلتقي الآن، فما أعرق أصلك يا ابن الكروم! تالله إن رائحتك الذكيَّة لتبعث الحياة إلى أنفي، وتغريني أن آخذك بين ذراعيَّ! املئوا كئوسكم أيها الرفاق إلى حافتها، واشربوا ابتهاجًا بزواجي.
الجميع (يقفون): ابتهاجًا بزواج الفارس قطبزار.
قطبزار: ابتهاجًا بزواج الأرملة السعيدة (ينشد):

سر يا نسيم إلى التي　　بالصدِّ أضنت مهجتي
لم يكفها من لوعتي　　أني رضيت بمحنتي
حتى تمادت في الملامْ

الجميع (ينشدون):

رحماك يا ذات السنا　　ماذا محبُّك قد جنى؟!
حتى تذيقيه العَنا　　في حين يأمل في المنى
رحماك فالبحر جرامْ

قطبزار:

فَـتَـدَلَّـلَـتْ وتـبـسَّـمـتْ وبـلـحـظـهـا نـحـوي رَنَـتْ
قلتُ: ارحمي! قالت: رَحِمتْ وما جـنـيـتَ قـد غـفـرتْ
وانـتـهـى عـهـد الـخـصـامْ

(الساعة تدق النصف بعد السادسة، ينظر خلفه إلى الساعة) إن هذه الساعة الملعونة تؤدي واجبها بمنتهى الدقة.

(يدخل شابور من اليمين.)

شابور (بأدب واحترام)**:** مولاي، لقد حضر رسول القاضي.
قطبزار: دعه يتفضل؛ لأنه سيتفضل على أي حال.

(يدخل رسول القاضي من اليمين، ومعه ضابط وثلاثة جنود، فيقف قطبزار، وينحني لهم بمنتهى الاحترام، ويقف معه ضيوفه.)

رسول القاضي (يقرأ)**:**

لقد تفضَّل مولانا الأمير شهرمان، أمير داهشتان، وتعطَّف عليك يا أيها الفارس قطبزار، فارس سمرقند المغوار، فأصدر أمره الكريم بألا يكون إعدامك بحبل المشنقة، بل يسرُّ سموه جدًّا أن يكون إعدامك في رحبة الثكنة رميًا برَصاص ستة من أبطال حرس سُموِّه؛ وذلك تنفيذًا لرغبتك.

(رسول القاضي يناول الضابط هذا الأمر وينحني لقطبزار، ويخرج صامتًا مع الضابط وجنده بعد أن يحييه قطبزار بانحناء، ورفع اليد. الجنود تلوح عليهم الدهشة. الساعة الآن سبعة إلا ربعًا.)

قطبزار (يجلس كأن لم يحدث شيء)**:** هلموا الآن أيها الرفاق؛ إذ لا يزال في الوقت متسع، وربع ساعة يكفي جدًّا، املئوا الكئوس.

الجميع (يملئون الكئوس وينشدون):

يا أيها الساقي الجميلْ هاتِ ما يروي الغليل
هاتِ ما يشفي العليلْ هاتِ أشهى ما اختمرْ

* * *

الخمر روحٌ للنفوسْ فارفعوا هذي الكئوسْ
تزدهي مثل العروسْ زانها حُسْنُ الحَوَرْ

(خلال النشيد يدخل بهادر بخفة ويأخذ البنادق ويخرج بها ثم يعود بها.)

فاشربوا واطربوا فالحياةُ متاعبُ
اللهوُ فيها يُنهَبُ والحظ رهنٌ للقدرْ

(الجميع يقهقهون ويضحكون، ثم يقفون والكئوس في أيديهم وينشدون):

يا بنتَ أكرم كرمةٍ جودي عليَّ بقبلةٍ
من ثغر كأسك حلوةٍ إن لام شَرعٌ أو عَذَرْ

* * *

هاتِ يا ساقي الشرابْ هاتِ ما لذَّ وطابْ
فاشربوها يا صِحابْ مَتِّعوا منها النظرْ

* * *

املئوا كأس الصفا واشربوا نخب الوفا
واعذروا صبًّا هفا كلُّ ذنب يُغتَفَرْ!

الجميع (يصيحون هاتفين): قطبزار!

قطبزار: لقد حضرت زوجتي (الساعة الآن السابعة إلا عشرة دقائق) شكرًا لكم أيها الرفاق، ولو كان في العمر بقية لاستبقيتكم في ضيافتي إلى الفجر.

(يصافحهم بسرور ويصافحونه ويتناولون بنادقهم ويخرجون من اليمين. في نفس الوقت يدخل بهروز من اليمين ومعه جلنار وهي مقنَّعة بنقاب كثيف، وخلفهما شابور ثم بهادر.)

بهروز (إلى قطبزار على حدة)**:** لا كلمة ولا نظرة.

قطبزار: لا فائدة من ذلك، لا سيما وأنه يستحيل أن تخترق النظرات هذا النقاب الكثيف!

بهروز (بصوت عالٍ)**:** قطبزار، زوجتك تطلب يدك.

قطبزار (يضع يده في يدها)، (على حِدَة)**:** إنها ليدٌ بضَّة، فهل تكون مَن لها هذه اليد الجميلة عجوزًا شمطاء (يحاول أن يرى وجهها) لم أرَ من قبلُ في حياتي امرأةً أخفت وجهها بمثل هذه الكيفية (بهروز يشير إلى الساعة، وهي الآن سبعة إلَّا خمس دقائق) ما زال في الوقت خمس دقائق. (بصوت عالٍ) سيدتي، إني أهبك ما بقي من حياتي (يتناول يدها ويخرج بها من اليمين يتبعهما بهادر).

بهروز (إلى شابور)**:** أَدْخِلِ الشريفَ ميزار وزوجته (يخرج بهروز من اليمين).

(شابور يشير إلى ميزار في الشمال الأول، وإلى زوجته في الشمال الثاني، فيدخلان، وعندما يلتقيان ينظر كل منهما إلى الآخر بدهشة.)

ميزار: لست أدري أين نحن الآن؟!

زوجة ميزار: أنحن في السجن؟

ميزار: في السجن؟ (يتلفت حوله) لا أظن أننا في السجن؛ لأن هنا مائدة وبقايا وليمة، ورائحة الخمر منتشرة.

فيروزة: لعلنا إذن في دَير من أديرة الرهبان!

ميزار: يظهر ذلك (يتناول زجاجة خمر وينظر فيها) لا يزال فيها بقية من الخمر، والرهبان أبخل من ذلك بكثير.

فيروزة: إذن فأين نحن يا تُرى؟

ميزار: هذا لا يهم يا عزيزتي، ما دمنا قد أطعنا بهروز فيما أراده منا، وحسبنا ذلك، فقد أَرْكَبَنا عربته المقفلة، وأتى بنا إلى حيث شاء.

فيروزة: كل هذا لا بأس به، ولكن لماذا أراك تطيع بهروز هذه الطاعة العمياء، وكأن شخصك وكلَّ ما تملكه مِلك لهذا الرجل؟

ميزار: أرجو أن تفهمي يا زوجتي العزيزة، أنه يوجد شيء مقدس اسمه «عرفان الجميل» ومَن كُنَّا نحن قبل أن نعرف بهروز؟! حقًّا لقد كنت غنيًّا، ولكن لا يعرفني أحد قط، وأنتِ جميلة فاتنة، ولكنك مجهولة من الناس. والخلاصة أن مواهبي كانت مقبورة وجمالك مجهولًا حتى توسَّط لي بهروز لدى الأمير، فعينني أمينًا لسر الإمارة.

فيروزة: ولكني لا أراك تعمل شيئًا.

ميزار: يا عزيزتي، أرجو أن تحترمي منصبي الرفيع أكثر من ذلك؛ لأني عاهدت بهروز أن أطيعه وأُخْلِصُ له في كل ما يريد، حتى فيما لا أفهم له معنًى؛ لأنه يعرف أكثر مني، وذلك كله مقابل ما أَوْلَانِيه من الشرف ورفعة القدر.

فيروزة: ولكن هذه الطاعة وهذا الإخلاص قد يؤثِّران على شرفك، كما قد يؤثران على شرفي.

ميزار: شرفُك! فليجُرؤْ من أراد ويخدشْ شرفك! فتالله ليخرجنَّ هذا السيف من غمده، وليفارقنَّ سباته العميق! مَن ذا الذي يجرُؤ على أن يمسَّ هذا الجمالَ بكلمة؟!

فيروزة: بالطبع لا يجرُؤ أحد.

ميزار: إني لواثق من أنك تحمين جمالك بسيف عفافك؛ وتالله إن الدهر ليمرُّ عليكِ دون أن يترك على وجنتيك أثرًا. وكذلك سيبقى هذا الوجه منبعًا للسحر والامتنان. وها قد مضى عليَّ ثلاثون سنة، وأنا أسمع كل يوم من أفواه الناس إطراءَ جمالِكِ الفتَّان.

فيروزة: انظر من هذا القادم (تنظر يمينًا).

(يدخل بهروز يقود جلنار.)

بهروز: أرجو أن تكون بخير يا ميزار (ميزار ينحني باحترام. بهروز ينحني لفيروزة) وأظن أنه خير لك الآن أن تعود إلى قصرك (بوضوح ذي معنًى) مع ابنة عمك زوجة الفارس قطبزار (يقدِّمها إليه في الوسط اليمين).

ميزار (لنفسه)**:** ابنة عمي؟!
فيروزة (لنفسها)**:** ما معنى كل ذلك؟

(الساعة تدق السابعة.)

بهروز: ثم إني أحب أن أراك بعد قليل مع ابنة عمك، التي لم ترها منذ خمس سنين.
ميزار: خمس سنين! نعم، بل أكثر من هذا بكثير، وهل سأتشرف باستقبال الفارس قطبزار، زوج ابنة عمي؟
بهروز: إن الفارس زوجها ... (يتوقف عند سماع الطلقات. صوت طلقات نارية.)
جلنار (مضطربة)**:** ما هذا؟
بهروز: لا شيء (يدخل شابور).
شابور: مولاي! لقد نُفِّذ الأمر.
بهروز: سلام عليك يا قطبزار!

(ستار)

الفصل الثالث

(المنظر: صالة فاخرة في قصر الشريف ميزار أمين سر الإمارة، حديقة في الخلف تؤدي إلى باب كبير، شعاع القمر، شموع موقدة، كرسي ومقاعد وثيرة، باب ونافذة في اليمين، ومثلهما في الشمال.)

(تُرفع الستار عن جمع من الأشراف، ضيوف ميزار وهم يمرحون، جمع من الجواري يرقصن وينشدن، جلنار جالسة في الوسط وحولها بضعة من الأشراف، وإلى يسارها بهروز ينظر إليها. ميزار وزوجته فيروزة يحييان الضيوف.)

جلنار (تغني):

يا ليالي الهنا يا نَفْحةَ القَدَر أنت أَحلامُهُ أم أنت منْ عُمُري؟
في غرامي قَضَيْتُ الدهرَ أَنْشُدُها فَتِّشُوا في كتابِ الحبِّ عن خَبَرِي
ها هنا السِّحرُ والأقمارُ قد طَلَعَتْ حاذروا من نِبالِ العَيْنِ والحَوَرِ
يا حِسانًا من الجنَّات قد خَرَجَتْ هلْ خَرَجْتُنَّ في جُنْحٍ من السَّحَرِ؟
هل على شَدْوِ أَطيارٍ حَضَرْتِ لنا أم رَكبْتِ الشَّذَى العِطريَّ من زَهَرِ؟
أَمْ على خَيْط نُورٍ جِئْتِ سَاحَتَنَا كيْ تجودي بوَصْلٍ غَيْر مُنْتَظَرِ؟

الجميع (يهللون ويصفقون): مرحى! مرحى!

فارس (إلى ميزار)**:** أقسم لك بشرفي يا ميزار، أني لم أرَ زوجتك في ليلة ما أجملَ منها في هذه الليلة!

فارس آخر: وفي مثل هذا الشباب والصبا.

فيروزة: إن ثناءكما أيها الشريفان لَيَعْقِدُ لساني عن شكركما.

ميزار (لنفسه)**:** يا لله! كلهم مجمعون على هذا الرأي (بصوت عالٍ) إني أدعوكم يا سادتي لتشرِّفوني غدًا؛ لأستطلع رأيكم في نوع من الخمر نادر الوجود، ومَن يستطيع أن يُقدِّرَ جمال النساء، فهو خَير من يقدر جودة الخمور.

بهروز (وهو لا يزال ينظر إلى جلنار)**:** مفكِّرةٌ تتأمَّلين! لا بأس.

ميزار (يطلع إلى بهروز)**:** لعلك مسرور من هذه الحفلة يا مولاي، جمالٌ يسحر الألباب! وعلى ذكر الجمال، هل رأيت جمال فيروزة الليلة؟ أرى عينيك لم تتحولا عن … ابنة عمي.

بهروز: نعم، وإنها لخليقة بمركزها الجديد، وكأنها قد خُلقت له، ولست أظن إلَّا أننا قد أصلحنا إحدى غلطات القَدَر بوضعها في هذا المركز الذي خُلقت له. فماذا ترى؟

ميزار: رأيي هو ما تراه، وقد قلتَ حقًّا.

بهروز: إن دماثة خلقك، لَمِمَّا لا يوجد له نظير.

ميزار: مما يوليني الفخر، أني مذ وُلِّيت منصبي ومولاي الأمير يعطف عليَّ.

بهروز: بهذه المناسبة أخبرك أن رئيس بلاط الأمير مريض جدًّا، وإذا خلا منصبه فأحب أن تذكِّرني بذلك.

ميزار: هذا شرف عظيم، ومنصب خطير، فهل يصح لي أن أتطلَّع لمثل هذا المنصب الرفيع؟ وهل أنا كفءٌ له؟

بهروز: مواهبك كفيلة بأن تجعلك كفئًا (يشير إلى فيروزة) أما زوجتك الشريفة فإنها تزداد جمالًا كلَّ يوم (يقترب من جلنار).

ميزار (لنفسه)**:** حتى بهروز قد سُحِر بجمال امرأتي، والمسكينة لا تدري أنها ترشق القلوب بسهام لَحْظِها.

بهروز (إلى جلنار)**:** ما لي أراكِ تفكرين؟ ألستِ مسرورة بهذه الحفلة؟ جلالٌ وجمالٌ وترف، فماذا ينقصك من أسباب السعادة؟

جلنار (كأنها تحدث نفسها): لا ينقصني إلَّا شخص واحد، فإذا حضر امتلأ الفراغ الذي أشعر به في قلبي؛ ولذلك تراني غير مرتاحة لما أراه حولي من اللهو والسرور.

(يدخل خادم ويهمس في أذن بهروز.)

الخادم: لقد حضر الشخص الذي ينتظره مولاي (يخرج).

بهروز (إلى ميزار على حِدَة): يجب أن تتخلص من هؤلاء الضيوف في الحال.

ميزار (لنفسه): في الحال! هذا غير مناسب، ولكن واجب. (بصوت عالٍ) هيا بنا أيها السادة إلى الغرفة المجاورة حيث قد أعددتُ لكم فيها ما يدهشكم. (على حِدة) تالله ليس هناك إلَّا شيء من النبيذ والفطير. (يخرجون جميعًا من الشمال) ما دام بهروز يريد ذلك فلا مفرَّ من قضائه (يهمُّ ميزار وزوجته فيروزة باللحاق بالضيوف فيستوقفهما بهروز).

بهروز: يحسن بالسيدة فيروزة الجميلة أن تبقى معنا، فهل تسمح ببقائك أيضًا يا ميزار؟

ميزار: إني طوع أمرك يا مولاي، ويسرني جدًّا ما يسرُّك.

بهروز (إلى جلنار على حدة): سأملأ الفراغ الذي تشعرين به في قلبك، فيتم سرورك وينشرح صدرك (يخرج مع فيروزة من الشمال).

جلنار (إلى ميزار): أسمعت ما قاله الآن؟ أنت صاحب القصر وتعرف أكثر مني، فهل يَصْدُق بهروز فيما يقول؟

ميزار: وهل ترتابين في ذلك (لنفسه) تالله لم أسمع ما قاله بهروز!

جلنار: وما معنى كل ذلك؟ وما هذه الأحاجي والألغاز؟ وما ذلك الزواج الغريب الذي قيل لي إنه بناءً على رغبة مولاتي الأميرة؟ وكيف كلما أطلب مقابلتها، يقولون لي: انتظري، انتظري؟! وكلما سألت عن زوجي الذي ارتبطت به على تلك الصورة الغريبة، أهو حيٌّ، أو منفيٌّ أو لن يعود، يقولون لي: انتظري، انتظري؟! فقل لي يا ميزار: هل أنا مخدوعة؟ وهل خدعني بهروز؟

ميزار: لا أظن ذلك؛ لأنه إذا كان قد خدعك فيكون قد خدعني أنا أيضًا، وتكون مسألة تعييني رئيسًا لبلاط الأمير حديث خرافة، ولكن ألم ترَي زوجك مذ تزوجت به؟

جلنار: لم أَرَهُ بعد الزواج قط. وأثناء العقد كنت مُقنَّعة بقناع كثيف.

ميزار: إذن فحبك له «حُبٌّ غيابيٌّ»!

جلنار: ما دمت قد تزوجته، فقد وجب عليَّ حبه، وقد قيل لي إنه تعذب في سبيلي، ولعلَّه يعذَّب الآن؛ ولذلك سأطلب إلى بهروز أن يخبرني متى أقابل الأميرة، ومتى أرى زوجي (بهروز في الوسط وقد دخل أثناء الحديث الأخير).

بهروز (ينزل إليها في الوسط)**:** يسرني يا سيدتي أني حضرت في الوقت المناسب لأجيب على ما تسألين، وسترين زوجك اليوم.

جلنار: اليوم؟

ميزار (إلى بهروز على حدة)**:** ألم يمت إذن؟

بهروز: اسكت!

جلنار: لقد كنتُ أسأت فيك الظن يا سيدي.

بهروز: انتظري عليَّ، واستمعي لما سأقول.

ميزار (لنفسه)**:** سأسمع الآن شيئًا (يتقدم ليسمع فيشير له بهروز بالخروج، فيتكدَّر وينحني، ويخرج من الباب الوسط).

جلنار: ها نحن الآن وحدنا، فحدِّثني عن زوجي!

بهروز (في اليمين)**:** إن زوجك هنا (يدخل الأمير من اليمين إلى الوسط) لقد ظل مختبئًا خشيةَ القانون فلم يجرؤ على الظهور، ولولا حبه لك لما خاطر بحياته، وحضر هنا الآن (يذهب شمالًا).

جلنار: ولكن يمكن أن نجد له مخبأً. أين هو؟

بهروز: هنا!

(يتقدَّم الأمير ويضع عباءته على كرسي، وعندما تراه جلنار تتراجع إلى الوراء منزعجة.)

الأمير (في اليمين)**:** أيتها السيدة جلنار! ألا تذكرينني؟

جلنار (لنفسها)**:** إنه هو (إلى بهروز) ليس هذا زوجي؛ لأن الرجل الذي وضعت يدي في يده هو …

بهروز (بسرعة في الشمال)**:** قطبزار فارس سمرقند، وهو الذي ترينه أمامك.

جلنار: لا لا! إني لم أشعر أن قلبي قد انعطف إلَّا لشخص واحد، وهو قطبزار.

بهروز: لقد عملت كل ما فيه خيرك وصالحك (يطلع شمالًا).

جلنار: يا لضَيَاعكِ يا جلنار!

الأمير: ألا تذكرين أنك كنت ترين في الساحة العامة شخصًا كان يلازمك كظلِّك؟ وكان من بين كل الملتفِّين حولك، تُشجيه أغانيك وأناشيدك؟

جلنار: إني لأذكرك يا سيدي، وكثيرًا ما دُهشت لكرم هباتك.

الأمير: إني أحبك، وكل آمالي في السعادة منحصرة فيك وحدك؛ ولذلك رفعت من قدرك، وأعليت من شأنك، وصمَّمت على أن تشاطريني الحب و…

بهروز (في الوسط مقاطعًا)**:** ولكن لا تَنْسَيْ أن قطبزار لا يملك شيئًا يهبك إياه، غير اسمه الشريف!

الأمير: نعم. والآن لا أطلب إليك إلَّا أن تشمليني بنظرةٍ منك أو كلمةٍ، فينبعث فيَّ الأمل بأنك ستجيبنني، وتكون حياتي وقفًا عليكِ أنتِ.

بهروز (إلى الأمير)**:** لا تنسَ يا قطبزار أنه ربما يسمعك أحد.

الأمير (لها)**:** حبيبتي جلنار الجميلة! سأعود بدون أن يراني أحد، ولن يفرِّق بيننا ما يتهددني من الخطر، وسنسعد في ابتعادنا عن الناس، فهلمِّي بنا!

جلنار (حائرة)**:** معًا؟

الأمير: على بعد بضعة فراسخ من داهشتان، يوجد منزل صغير، فهلمِّي بنا نطير إليه، حيث نستمتع بالحب والسرور واللهو.

بهروز (ينظر إلى اليمين)**:** أسرع أسرع، فقد أوشك المدعوون أن يسأموا الرقص والغناء.

الأمير: حبيبتي جلنار! لماذا تتردَّدين؟ هلمي معي!

جلنار (لنفسها)**:** ربَّاه! (بصوت عالٍ) وكيف نخرج على هذه الصورة بدون أن نحيِّي ميزار على الأقل؟

بهروز: كفى كفى يا قطبزار، وقد أصابت السيدة في رأيها، فإن خروجها من الحفلة فجأة مما يوقظ الريب والظنون، ويحسن أنها تتبعك إلى هناك.

الأمير: ستجدين عربتك عند باب الحديقة، فلا تطيلي الغيابَ على حبيبك (بهروز ينظر إليه) زوجك في انتظارك.

بهروز: أسرِعْ بالخروج، أسرِعْ (الأمير يتناول عباءته بسرعة ويخرج من الوسط).

جلنار: يا لَسوء حظي (تبكي).

بهروز: أتبكين ولا تشكرين؟ لقد بررتُ بكل شيء.

جلنار:

إنــي لـشــاكـرةٌ وَلـــ ـــكنَّ الفؤادَ به الوجَلْ
حَـقًّـا بَـرَرْت وإنـمـا يا ليت ذا المسعى فَشَلْ

(تبكي)

بهروز:

كلُّ المطامع نِلْتِهَا فعلامَ ذا الدمعُ هطلْ؟

جلنار:

حُرِّيتي اسْتَبْدَلتُها باسمٍ فيا بئسَ البدلْ!
قد كنتُ قَبلًا حرَّةً والآنَ ضَيَّعني الأملْ

بهروز: ابسمي للمستقبل، وثقي بي.

(يدخل الضيوف سيدات ورجالًا من الشمال إلى اليمين ومعهم ميزار وزوجته.)

بهروز (إلى فيروزة)**:** خذي زوجة قطبزار معك يا فيروزة (السيدة فيروزة تنحني وتأخذ بذراع جلنار وتخرجان شمالًا).

ميزار: هذه ليلة من أسعد الليالي، هلموا يا سادتي مع زوجتي المصونة (يخرجون جميعًا).

بهروز (لنفسه)**:** كل عقبة تعترضني، أحطمها بعزيمتي وحسن تدبيري.

(يدخل قطبزار من الوسط ملثمًا.)

قطبزار (يقترب من بهروز)**:** شيئًا لله يا ولدي! (بهروز يذهب شمالًا. قطبزار يرفع اللثام) ها أنا ذا مرةً أخرى يا بهروز!

بهروز (مندهشًا)**:** مَن! قطبزار؟ ألم تَمُت!

قطبزار: لم أمُتْ بعدُ!

بهروز: ومن ذا الذي أنقذك؟

قطبزار: أنت! فقد أنقذتني من حبل المشنقة.

بهروز: ولكنَّ وكيلي رآك بنفسه ساعة الإعدام، وسمعتُ أنا صوتَ إطلاق النار عليك.

قطبزار: كذلك أنا، وها هو الرصاص (يريه الرصاص) وتالله إنه لخيرٌ لي أن يسكن جيبي، عن أن يسكن جسمي (لنفسه) لقد سرقه بهادر من البنادق في الوقت المناسب.

بهروز: ولكنك سقطتَ على الأرض!

قطبزار: بالطبع، حتى لا أُخْجِلَ ستةً من رجال الحرس الأشدَّاء، وقد جعلوني هدفهم، ولو علموا أنهم أخطئوا مرماهم، لَشَقَّ ذلك جدًّا على نفوسهم.

بهروز: إذن فقد خُدِعْت!

قطبزار: كذلك أنا؛ إذ اعتقدتُ أني مِتُّ حقيقةً، وأني قد خلصتُ من الدائنين، حتى وجدت نفسي جالسًا إلى منضدة، وأمامي زجاجة من الخمر، وفي يدي نردٌ ألعب به.

بهروز: مَن تراه يكون ذلك الذي خانني!

قطبزار (على حدة)**:** أحمد الله إذ لم يتسرب إليه سوء الظن بالفتى المسكين (يجلس بلا تكليف. بصوت عالٍ) أرى آثار وليمة هنا!

بهروز: نعم. إنما لاحظ أنك في خطر! فلماذا أتيت؟

قطبزار: تمهَّل عليَّ قليلًا وأنا أخبرك، فقد رأيت عربة فاخرة، فسألت لمن هذه العربة؟ فقيل لي إنها عربة حرم الفارس قطبزار؛ ولذلك تراني هنا. فأين زوجتي؟ ولا يخفى عليك أن وقتي ثمين، خصوصًا إذا كان لا بُدَّ من احترام الحكم الصادر بناءً على ذلك القانون الملعون.

بهروز (على حِدة)**:** إنه يجهل أمر العفو عنه (بحدَّة) قطبزار! ما الذي تريده الآن؟

قطبزار: أن أرى زوجتي، وهي لي أنا، لقد تكرَّمتَ بها عليَّ، وها أنا الآن أريد أن أرى أثر هذا التكرم والفضل!

بهروز (على حدة)**:** أكذلك يفشل مشروعي! هذا لن يكون!

(يدخل ميزار من الشمال إلى الوسط.)

ميزار: إن ضيوفي لفي غاية الظَّرف؛ فإنهم لا يشربون إلَّا على سر زوجة الفارس قطبزار.

قطبزار (في اليمين)**:** لعنة الله عليهم، زوجة الفارس قطبزار! زوجتي! أين هي؟

ميزار: عفوًا. هل أنت قطبزار الذي ... لم يمت؟

بهروز (على حدة إلى ميزار، في الشمال)**:** لا تنبس بكلمة، ولا تدهش لشيء تراه أو تسمعه، واعمل كما أشاء (يذهب شمالًا).

ميزار: ومنصب رئيس بلاط سمو الأمير؟

بهروز: سيكون لك (إلى قطبزار) قطبزار، إن حقوقك مقدسة وواجبة الاحترام، وزوجتك هنا وستراها حالًا (يخرج شمالًا).

قطبزار: ستأتي زوجتي، وسأراها كما يصوِّرها لي خيالي، فتاةً جميلة (ميزار يهمُّ بالخروج فيمسكه قطبزار) أرجو ألَّا تتركني وحدي يا سيدي؛ لأني سأحتاج إلى مَن يأخذ بيدي؛ إذ أخشى أن يتغلَّب السرور على قوايَ (يدخل بهروز من الشمال ومعه فيروزة).

ميزار (إلى قطبزار)**:** هدِّئ روعك ولا تضطرب فإني لا أجهل حالَ مَن ينتظر امرأة جميلة.

بهروز (ينظر إلى ميزار نظرة ذات معنًى)**:** قطبزار! ها هي زوجتك (يقدم له فيروزة).

قطبزار: زوجتي! ما أقبحها!

ميزار (على حِدَة)**:** يقدِّم له زوجتي (فيروزة تبتسم) ويظهر أنها مرتاحة لذلك!

قطبزار (ينحني ببرود)**:** إذن فليس غريبًا أنها كانت مقنَّعة بقناع كثيف. إنها فوق الستين على الأقل!

ميزار: يظهر أنها قد فتنته!

قطبزار (إلى ميزار)**:** هل تتفضل بإرشادي إلى أقرب باب للخروج؟

بهروز: قطبزار، زوجتك مستعدة للذهاب معك.

قطبزار: أحب أنها لا تكلف نفسها شيئًا من المشقة في سبيلي (فيروزة تبتعد)، (إلى بهروز) وأحب أن تستصدر أمرًا آخر بشنقي؛ فإنه خير لي من هذا (إلى ميزار) يا صديقي العزيز، هل رأيت في حياتك أقبح من هذا الوجه! أليس وجهها مخيفًا بربك؟

ميزار: مخيف يا قطبزار؟ (لنفسه) يظهر أن مصائب الرجل قد أعمت بصيرته!

بهروز (إلى قطبزار)**:** زوجتك تنتظر أوامرك، وهي مستعدة لمشاركتك في حياتك.

قطبزار (إلى فيروزة)**:** يا سيدتي، إني لا أحب أن أنتهز فرصة خطأ القدر، ولو أني شاكر لك قبولك مشاركتي في حياتي، مع ما أنا عليه من الفقر والتشريد.

بهروز: إنها قبلت الارتباط بك، وهي على علم بحقيقة حالك.

قطبزار: إذن فقد كانت تعلم حقيقة حالي؟ وما دام الأمر كذلك، فلا يصح أن أكون أقل منها كرمًا (يخطو إلى الوسط) سيدتي، إني لا أحب أن أَحْرِم منك قومًا عاشروك هذه السنين الطويلة (ينظر إليها) وعشت بينهم هذه الدهور؛ لأن سنَّك … أريد أن أقول … في الحقيقة يا سيدتي، لأني قد أطلقتك من كل قيد يربطك بي، وقد استقلت من منصب زوج لك (يذهب إلى ميزار في اليمين) أرأيت في حياتك يا سيدي تجعدات في الوجه أوضح أو أقبح من هذه التجعيدات؟

ميزار (غاضبًا)**:** غمَّازات يا سيدي غمَّازات! لقد كاد ينفد صبري.

قطبزار: ربما يا سيدتي منذ عهد بعيد، أعني منذ دهر طويل (تلتفت إليه) لا لا، لا أجسر على أن أقول ما أريد (إلى ميزار) أسألك يا أمين سر الإمارة، بصفتك رجلًا عاقلًا، أن تخبرني، هل ترى أنه يمكن اعتبار مثل هذه السيدة المكرَّمة … زوجةً لرجل؟

ميزار (لنفسه)**:** هذا مؤلم جدًّا! (له) إذا كنت يا سيدي لا تحبها أنت، فلا تجعل غيرَك يكرهها.

قطبزار: غيري! وهل في الدنيا مجنون … ولكن لا لزام لذلك، وخير لي ألَّا أكونَ عقبةً في سبيل مَن يحبها.

بهروز (وقد كان يتحدث مع فيروزة على حدة)**:** إذن فقد انتهينا. وإنك لتعلم يا قطبزار أن الغرض من الزواج منك كان الحاجة إلى اسمك لا إلى شخصك.

قطبزار: إني راضٍ بخروجي من هذه الصفقة.

بهروز: ولا تنسَ أنه لم يبقَ من حياتك أكثر من عشرة دقائق.

قطبزار: آه! إذن فقد كنتُ منذ قليل أسعد حالًا مني الآن.

بهروز: ثم إن زوجتك لا تحبك.

قطبزار: أغرب ما رأيت من اتفاق الرأي بين الزوجين!

بهروز: ومع ذلك فاعلم أن زوجتك غنية، وذات ثروة، وأنت معدَمٌ لا تملك شيئًا.

قطبزار: يدهشني أنك قدَّرتَ ثروتي بالدقة!

بهروز: وسيُعطى لك معاش سنوي، قدره ستمائة دينار، على شرط أن تهجر إمارة داهشتان نهائيًّا.

قطبزار: أهجر داهشتان؟! ولكن ... مسألة المعاش السنوي تجعلني أقبل هذا الهجر.

بهروز: ويجب أيضًا أن تتنازل عن كل حق تخوِّلُه لك الزوجية.

قطبزار (ينظر إلى فيروزة)**:** تنازلت عن كل شيء.

بهروز: وهل توقِّع بإمضائك على ورقة تتضمن كل ذلك؟

قطبزار (يسرع إلى منضدة في اليمين)**:** بكل سرور، وكيف لا! أَمْلِ عليَّ شروطك، وكلما كانت دقيقة مفيدة، كلما كان ذلك في صالحي أكثر (يتناول ورقة وقلمًا).

بهروز (يُمْلِي)**:** أنا الموقِّع على هذا، قطبزار فارس سمرقند، أتعهد بصفتي رجلًا شريفًا أن أهجر إمارة داهشتان إلى الأبد.

قطبزار (يتوقف قليلًا)**:** إلى الأبد! يا للدائنين المساكين!

بهروز (يُملي)**:** وأعترف بأني قد تخليت عن زوجتي.

قطبزار: ستمائة دينار في السنة! ثمن معتدل جدًّا (يكتب) زوجتي ...

بهروز: وألا أدَّعي مطلقًا بأني زوجها.

قطبزار: أبدًا! أبدًا!

بهروز: وقِّع بإمضائك إذن.

قطبزار: قطبز ... (صوت خادم في الخارج).

الخادم (في الخارج)**:** عربة حرم الفارس قطبزار!

قطبزار: آه؟!

بهروز (يذهب إليه)**:** وقِّع وقِّع يا قطبزار.

الخادم (في الخارج)**:** أفسحوا الطريق لحرم الفارس قطبزار (تمرُّ جلنار في الخارج من الشمال إلى اليمين وحولها الأشراف. قطبزار يحاول اللحاق بها فيعترضه بهروز).

قطبزار: ما الذي أرى! إذن فقد خُدعت!

بهروز: وقِّع أولًا، لقد تعهدتَ بشرفك.

قطبزار (يمزق الورقة)**:** أدركت الحيلة!

بهروز: اذكر أنك مجرم، ومحكوم عليك بالإعدام، وكلمة واحدة مني تكفي لموتك!

قطبزار: آه! لقد نزعت اللثام عن وجهك أخيرًا، والآن قد تفاهمنا.

بهروز: ما زال الهرب في إمكانك، وما زلتُ مستعدًّا لمساعدتك تحت شرط واحد.

قطبزار: لا لا، حسبي مساومات مزرية مخجلة!

بهروز: احذر! ولو تَبِعْتَ زوجتك خطوة واحدة، فإنك مقتول لا محالة!

قطبزار: إذن فَتِلْك زوجتي؟! أفسح لي الطريق، وإلَّا جعلتني مدينًا للقانون بجريمة أخرى! ابتعد (يدفعه جانبًا ويخرج مسرعًا من الوسط ثم إلى اليمين).

بهروز: يا رجال الحرس (يدخل الجنود من الشمال) هلمُّوا خلف ذلك الرجل واقبضوا عليه، وإذا قاوم، أطلقوا عليه الرَّصاص في الحال!

(تنزل الستار عندما يخرج الجنود مسرعين خلف قطبزار، ويظل بهروز واقفًا مشيرًا بيده.)

(ستار)

الفصل الرابع

(المنظر: قصر خلوي في ضواحي داهشتان، صالون فاخر، شرفة في الخلف، في الوسط وعلى كلٍّ من جانبيها نافذة ووراء ذلك حديقة. الوقت ليل، ونور القمر ساطع. بابان في الشمال، وباب في اليمين، كراسي ومناضد.)

(تُرفع الستار عن بهادر ينظم المناضد في اليمين.)

بهادر: كل شيء مُعَدٌّ لقدوم بهروز. ولكن ما معنى كل هذه الألغاز؟ ومَن تكون هذه السيدة التي يوليها هذا الاحترام الكثير؟ تالله لو سَمعت الأميرة بذلك لنبذته بلا تردد. آه! ها هو قد أقبل (يدخل بهروز من الباب الثاني الشمال).

بهروز: ألم يحضر أحدٌ بعد؟

بهادر: بل حضرت السيدة، وها هي في الغرفة المجاورة.

بهروز: والخدم والخيول؟

بهادر: عادت إلى داهشتان. هل أُخبر السيدة بتشريف مولاي؟

بهروز: كلَّا؛ أتعرف الفارس الذي كان يكلمني بالأمس، عند باب القصر؟

بهادر: نعم يا مولاي. أوَليس هو سمو الأمير؟

بهروز: صهٍ! إنه سيحضر الليلة، ولا يدخل إلى هذا الجناح أحد غيره.

بهادر: وإذا حضر أحد يا مولاي؟

بهروز: لا تسمح بالدخول لأحد قط، وإذا عارضك أحد، فأطلق عليه الرصاص.

بهادر: أمرك يا مولاي.

بهروز: اخرج الآن (يخرج بهادر من الباب الثاني الشمال) لست أدري كيف نجا قطبزار من الموت. وتالله لو حضر هنا الآن لأفسد عليَّ كل شيء. إذن فلأُسْرِعَنَّ ولا أتباطأ، فهذه الليلة ليلة انتصاري، وعما قليل يحضر الأمير. كما أن رسولي إلى الأميرة لا بد أن يكون قد وصل إليها وأخبرها بخيانة الأمير لها، فأقابلها الليلة في القصر الأبيض، وأحدِّثها بسلوك زوجها الأمير، وأثير فيها نار الغيرة وحبَّ الانتقام، ولعلها ترضى بي (صوت بوق بعيد) لقد حضر الأمير!

(تدخل جلنار من الباب الثاني الشمال.)

جلنار: ما معنى ذلك! آه! مولاي الوزير!

بهروز (بحفاوة)**:** أرجو أن تكون أوامري كلها قد نُفِّذَت، وألَّا تكوني في حاجة إلى شيء ما يا سيدتي!

جلنار: لا شيء، لا شيء. أشكرك.

بهروز: أرأيت يا سيدتي، كيف تحقَّقت أحلامك الذهبية! فأنت الآن تحملين اسمًا شريفًا، ولك عظمة وجلال، وتنحني لك هامات الأشراف؛ أفلا ترين إذن أن نبوءتي قد تحققت يا سيدتي؟ لقد بررت بكل ما وعدت.

جلنار: حقًّا لقد بررت يا بهروز، ولو أن زوجة الفارس قطبزار، تأسف لما كان من مطامع جلنار (تبكي).

بهروز: وعَلَامَ الأسف؟ وما هذه الدموع؟

جلنار: أرجو ألَّا تظن أني جاحدة فضلك أو فضل مولاتي الأميرة، ولكن مع ما يحوطني من الجلال والأبهة آسفة جدًّا؛ لأن تلك الراقصة كانت حرَّةَ الإرادة، طليقةَ الفكر. والحرية هي نعيم الحياة.

بهروز: اسكتي!

(يدخل بهادر من الباب الثاني الشمال.)

بهادر: لقد حضر يا مولاي.

جلنار: مَن؟

بهروز: زوجُك يا سيدتي.

جلنار: زوجي (تبكي. يدخل الأمير من الباب الثاني الشمال، فيحييه بهروز باحترام، ويشير إلى بهادر، ويخرجان من اليمين).

الأمير (على حدة)**:** ها نحن وحدنا أخيرًا (بصوت عالٍ) جلنار!

جلنار (على حدة)**:** إني أرتعد حتى من صوته (تبتعد).

الأمير: لماذا لا تجيبين، وأراك تبتعدين عني؟

جلنار: عفوًا سيدي، ولكنِّي ...

الأمير: لقد اصفرَّ لونك (يتناول يدها) ويدك باردة كالثلج.

جلنار (تسحب يدها)**:** إنِّي ... إني ... (على حدة) لا أستطيع الكلام.

الأمير: لماذا لا تجيبين؟ وما بالك قَلِقة؟

جلنار: كيف أجيبك يا مولاي؟ وكيف تعجب لقلقي، وأنت ترى زواجنا الغريب، والتفاوت الهائل الذي بيننا، فأنت رجل شريف، وأنا ... متسولة! إني ما زلت أشعر بما بيننا من البون الشاسع، حتى لا أجسر على أن أرفع عينيَّ إلى عينيك، بل إني ... أخافك وأخشاك.

الأمير: تخافينني وتخشَيْنني (بعظمة الإمارة) نحن نعلم ... (يسكت) جلنار، إنك تسيئين إليَّ بهذا الشعور! فأنا أحبك، ومستعد لأن أضحِّي بكل شيء في سبيل أن أنال منك الحبَّ والعطف (يقبِّل يدها فتسحبها).

جلنار: أوه!

الأمير: ما هذا؟ لقد أخبرني بهروز بأنك تنتظرين حضوري بفارغ الصبر، فهل خدعني؟

جلنار: إنه لم يخدعك وحدك يا مولاي، بل خدعني أنا أيضًا.

الأمير: وكيف ذلك؟

جلنار: بهذا الزواج؛ لأنه أخبرني أن زوجي فقير معدم، لا يملك إلَّا اسمه.

الأمير: لَن تُخْدَعي بعد ذلك، فاطلبي ما تشائين أُحْضِرْهُ لك؛ لأن حبي يزداد اضطرامًا، فبادليني الحب (يأخذها بين ذراعيه).

جلنار (تتخلص منه)**:** دعني يا سيدي، دعني!

الأمير (محتدًّا)**:** لقد فهمت، فأنت تحبين شخصًا آخر يا جلنار، فأنا إذن مخدوع، وقد أخطأت إذ رفعتك إلى هذه الدرجة، فيا لكِ من ناكرةٍ للجميل! ادخلي غرفتك يا سيِّدة! وتعلمي كيف تطيعين زوجك ومولاك!

جلنار: إني مطيعة لك، وأراك محقًّا في غضبك، وها أنا أقدِّم لك طاعتي يا سيدي ومولاي (تخرج يمينًا).

الأمير: لعلها نادمة، فلماذا أتردد (يذهب نحو الباب اليمين) وفي الإمكان التغلُّب عليها.

(يُسمَع صوت عيار ناري ويدخل قطبزار من الشرفة وينزل شمالًا إلى الوسط.)

قطبزار (لنفسه دون أن يرى الأمير)**:** طريقة غير لطيفة في استقبال الضيوف، وماذا عساني قد ارتكبت لأكون هدفًا للرصاص أنَّى ذهبت؟!

(الأمير يدخل قليلًا ويراقب. يدخل بهادر خلسةً من الشمال وفي يده غدَّارته.)

بهادر (مندهشًا)**:** قطبزار (يخرج شمالًا).

قطبزار: يا لله! (يلمح الأمير) عفوًا سيدي، فإني لم أَرَك إلَّا في هذه اللحظة!

الأمير (ينحني قليلًا)**:** لماذا دخلتَ من هذه الشرفة؟

قطبزار: لأني وجدت الباب مغلقًا!

الأمير: ليس المجالُ مجالَ مزاح. ما هو السبب الذي حملك على ذلك؟

قطبزار: إنه لسبب مقبول، فقد رأيت على ضوء القمر سيدة جميلة جدًّا، فأحببت أن أحادثها.

الأمير: ماذا تقول؟

قطبزار: أقول إني قرعتُ الباب فلم يُسمَحْ لي بالدخول، فكيف يتسنَّى لي إذن أن أدخل؟ لم أرَ إلَّا هذه الشرفة، وما إن شرعت أتسلَّق الجدار حتى فوجئت برصاصة اخترقت عمامتي (يريه أثرها في العمامة) وهذا منتهى المجاملة في إكرام الضيوف، فهل في هذا العمل ما يَمَسُّك؟

الأمير: وما شأنك مع هذه السيدة؟

قطبزار: عفوًا، فإني ما عدت أثق بأحد، وغاية ما هناك أني أردت … أن … أن أراها فقط.

الأمير: يا للوقاحة! اخرجْ من هنا حالًا!

قطبزار: بعد الذي تكبَّدته حتى دخلتُ هنا؟ لعلك …

الأمير: رب هذا البيت.

قطبزار: ربُّ هذا البيت (يسعل بمعنًى) حيث لمحت زوجة الفارس قطبزار.

الأمير: إذن فأنت تعرفها؟

قطبزار: أعرفها قليلًا جدًّا؛ لأني لم أَرَها إلَّا دقائق، وما دامت هي مقيمةً هنا، فهل تسمح لي أن أسألك ما هو اسمك؟

الأمير (بعظمة)**:** أنا … (يتوقف وينظر نحو غرفة جلنار) أنا الفارس قطبزار (يجلس).

قطبزار: آه؟ قطبزار، الفارس السمرقندي (على حدة) يا للشيطان! لقد خرج من رفاتي رجلان كل منهما قطبزار (يدخل بهادر خلسةً من الباب الثاني الشمال).

الأمير: لقد قلت لك مَن أنا، فقل لي من أنت؟

قطبزار (على حدة)**:** يَا لِقِلَّة حياءِ هذا الوغد!

بهادر (يهمس في أذن قطبزار خفية ثم ينسل خارجًا)**:** إنه الأمير.

الأمير: أراك مترددًا يا سيدي (يلتفت إليه).

قطبزار (لنفسه)**:** إنه الأمير، إذن فقد فهمت كل شيء.

الأمير: يظهر أن سؤالي قد أحرجك. أجبني!

قطبزار: بالطبع أجيبك، ما دمتَ أنت قطبزار (يجلس في الشمال الوسط بعظمة ويضع سيفه على ركبتيه) فنحن أمير داهشتان.

الأمير: ماذا؟! الأمير؟!

قطبزار: نعم، أنا الأمير شهرمان، أمير داهشتان!

الأمير: أنت!

قطبزار (بسرور)**:** نعم، كما أنك قطبزار. آه، يظهر أنه قد أدهشك أن ترى سُمُوَّنا في مثل هذه الساعة من الليل بلا حرس أو حاشية، وفي منزل امرأة جميلة ليست بالأميرة، ولكننا نؤكد لك أنه ليس في هذا ما يدعو للعجب؛ لأن الأمراء أحيانًا يميلون إلى اللهو

متنكرين. إنما حذارِ أن تبوح بكلمة عن طيش سُمونا هذا! إني مطمئن إذ بُحْتُ لك بسرِّي يا قطبزار، ولكننا مع ذلك، نحذِّرك من إفشاء سِرِّنا!

الأمير (على حدة)**:** وقح! مَن تراه يكون هذا الرجل؟

قطبزار: ها! بهذه المناسبة قد تذكرنا، لأننا نعرف كل رعايانا، ونعرف أن قطبزار شجاع، ولو أنه يميل إلى المزاح والضحك، ولقد تقاتل مع قائد حرسنا الملكي وقتله، فخالف بذلك القانون الذي أصدرناه أخيرًا، ثم نُفِّذ فيه الحكم في ساحة الثكنة (يقف ويقترب من الأمير) فإذا كنت قطبزار حقيقةً، فبأي حق لا تزال حيًّا؟ ألا تعلم أننا إذا بُحنا بأمرك، فكل رعايانا المخلصون لنا يتسابقون إلى قتلك (بهدوء) ولكننا لا نبوح بسرِّك.

الأمير (يقف)**:** سموكم قد نسيتم ...

قطبزار: محتَمَل، وكثيرًا ما ننسى، ولكن ما الذي نَسِيَه سُمُوُّنا؟

الأمير: نسيتم أنكم عفوتم عن قطبزار.

قطبزار: حقًّا لقد نسينا (بعد برهة تفكير) ولكننا لا نذكر في أية ساعة عفونا.

الأمير: كان ذلك في الساعة الثامنة من ليلة تنفيذ الحكم.

قطبزار: آه ... حقًّا لقد أصدرنا أمرنا بالعفو، في الساعة الثامنة (على حِدة) وأطلقوا الرصاص عليَّ في السابعة (بصوت عالٍ) تذكرنا، ولقد صدر عفونا متأخرًا ساعة بعد تنفيذ الحكم (لنفسه) ومع هذا لا بأس.

الأمير: ولذلك ترون سموكم أنه لا فائدة من إشهار أمري.

قطبزار: كما أنه لا فائدة لي من انتحال لقب ليس لي.

الأمير: إذن فلستَ أمير داهشتان.

قطبزار: كلَّا، وأظنكم لم تجهلوا ذلك.

الأمير: أنت إذن ... (يدخل بهادر من الشمال الأول يحمل رسالة).

قطبزار: الرجل الذي لا يخشى رصاصَ ستة من رجال الحرس الأبطال.

بهادر (ينزل ويركع أمام الأمير ليسلمه الرسالة)**:** مولاي! رسول أتى بهذه الرسالة السِّرِّيَّة.

الأمير (يتناول الرسالة): ما هذا (يقرأ) خيانة! الأميرة تعلم بغيابي، وموجودة بالقصر الأبيض! حصاني يا غلام! انتظر! (له على حدة) هل أنت في خدمة بهروز؟

بهادر: نعم يا مولاي.

الأمير: إذن عليك مراقبة هذا الرجل، وإخراجه من هنا ومعرفة اسمه (يخرج مسرعًا من الشمال الأول).

بهادر: وأخيرًا، هذا أنت يا قطبزار!

قطبزار: نعم أنا، أنا مَن أنجيته من تلك الميتة المخزية.

بهادر: وكدتُ أن أقتلك منذ لحظة.

قطبزار: وهذا هو البرهان (يريه العمامة).

بهادر: ولكني لم أكن أعرف أنه أنت.

قطبزار: لا شك عندي في ذلك يا بهادر، ولكن قل لي، هل يجب عليَّ أن أغادر هذا المنزل؟

بهادر: هكذا أُمِرْت.

قطبزار: وإذا رفَضتُ أو قاومت؟

بهادر: قاومت؟ ومن يعترضك؟! لا يوجد هنا أحد غيري، وأنا خادم قطبزار.

قطبزار: يا لك من فتًى أمين! تالله لو أصبحتُ ذا ثروة ...

بهادر: تبقيني في خدمتك؟

قطبزار: خدمتي؟! بل أجعل في خدمتك اثني عشر فتًى! ولكن قل لي يا بهادر، ألا توجد هنا سيدة؟

بهادر: نعم.

قطبزار: أحب أن أراها، فخذني إليها (تدخل جلنار من اليمين).

بهادر: ها هي يا سيدي.

جلنار: شخص غريب!

قطبزار: اتركنا يا بهادر (يخرج بهادر من الثاني الشمال) ها قد التقينا أخيرًا يا سيدتي (تضطرب لصوته وتنصت بانتباه فتتذكره ويلوح عليها السرور) ولو أني خاطرت بحياتي، وتعبت كثيرًا، فقد أطلق الرصاص عليَّ مرتين حتى تمكنت من هذه المقابلة.

جلنار: هذا الصوت!

قطبزار: ما لي أراك مندهشة؟ ألا تعرفينني يا جلنار؟

جلنار: أنت …

قطبزار: زوجك.

جلنار: الفارس قطبزار؟

قطبزار: نعم أنا.

جلنار: أنت!

قطبزار: جلنار، إني أعرف كل شيء، فإنك ظننتِني قد مِتُّ حقيقة، وعندما تمت صيغة عقد الزواج، انتظرتِ لتسمعي صوت الطلقات التي تقضي عليَّ وتمنحك الحرية.

جلنار (برعب)**:** ماذا تقول؟

قطبزار: أقول إنك قد نلت اسمًا، بطريقة غير شريفة.

جلنار: هذا كذب! فإني لم أخدش شرف زوجي، حتى في أفكاري (بانعطاف) ولكن، هل أنت زوجي حقيقةً؟ إن شخصًا آخر قد انتحل لنفسه اسم قطبزار، و…

قطبزار (مقاطعًا)**:** محض اختلاق وسخرية وتزوير! إن الأمير ليس في حاجة لانتحالِ مثل هذا الاسم الحقير.

جلنار: الأمير!

قطبزار: نعم، أمير داهشتان.

جلنار: تمهَّل، وأثبت لي أنك زوجي حقيقةً، وأنا أجيبك على كلِّ شيء. هاتِ برهانك!

قطبزار: برهاني؟ أقسم بشرفي.

جلنار: إنك لم تكلمني إلَّا مرةً واحدةً، فهل تذكر الكلمات التي قلتها لي أثناء عقد الزواج؟

قطبزار: نعم أذكرها بنصِّها، فقد قلت لك: «سيدتي، إني أهبك ما بقي من حياتي، وهو قليل.»

جلنار (بفرح)**:** أنت زوجي! وهذا ما قلته لي حقًّا (تحاول الاقتراب منه، فيشير لها بالابتعاد).

قطبزار: عفوًا سيدتي، فإنَّ الأمير يهواكِ، وإنه لذو بأسٍ شديد.

جلنار: كلَّا يا قطبزار، بل يا زوجي! أرجو ألَّا تكافئني على آلامي بهذه المكافأة، واستمع لي قليلًا، وبعدها احكمْ عليَّ بما شئت. في اليوم الذي أنقذتك فيه من يد الغوغاء، قابلني شخص لا أعرفه، وتنبأ لي بطالع سعيد، وقال لي إنه موفد من قِبَل الأميرة، ليرفعني إلى الدرجة التي أنا أهلٌ لها، واقترح أن تكون الوسيلة لذلك …

قطبزار (مقاطعًا متهكمًا)**:** وسيلة شريفة جدًّا بالطبع!

جلنار: إنها لشريفة حقًّا؛ لأني بزواجي منك، اعتقدت أني تزوجت من رجلٍ يكترث بي (بعطف) ويحبني، وأشعر في قلبي بعاطفةٍ تجذبني نحوه.

قطبزار: أتُراكِ تخدعينني؟

جلنار (تبكي)**:** وهل هذه الدموع خادعة؟ (تمسك يديه وتركع) آه يا زوجي! لقد جوزيت على كبريائي، ولكني احتفظت بشرفك والوفاء لك، وإذا ارتبت فيَّ فاقتلني.

قطبزار: هذا شرط مخيف يا جلنار.

جلنار: آه يا قطبزار! إنك لا تدري مقدار ما أشعر به من الحب الذي ابتدأ في قلبي منذ ساعة الزواج، كما أنك تجهل ما تحمَّلته من الآلام، وقاسيته من الخوف، وتأنيب الضمير حتى أصبح خيالك معبود قلبي.

قطبزار (يأخذها بين ذراعيه)**:** صدقت يا جلنار، ولن أكون بعد اليوم قطبزار الطريد الشريد، بل إن فارس سمرقند سيعيش محتفظًا بكرامة اسمه الشريف، ما دمت قد قبلت أن تشاركيه الحياة (صوت طبول) آه! جنود يقصدون إلى القصر!

جلنار: إذن فاهرب وانْجُ بنفسك.

قطبزار: أهرب وأنا أرى الأمير يهدد باب غرفةٍ أنت فيها؟

جلنار: لا تخشَ عليَّ، واذهب أنت إلى الأميرة، فإنها في القصر الأبيض القريب من هنا، وأخبرها أن جلنار في خطر؛ فإنها لا محالة تنقذني.

قطبزار: لا أطلب إلى أحد أن يحميك ما دمت أحمل سيفًا.

جلنار: لست أجهل نبالتك، فإنك تفضِّل الاعتماد على زندك عن الالتجاء إلى امرأة، ولكني أرجوك إكرامًا لخاطري، أن تسرع بالذهاب إلى الأميرة.

قطبزار (يقبلها)**:** إذن فإلى الأميرة (يخرج من الوسط).

(جلنار تركع مبتهلة. يدخل بهادر من الباب الأول الشمال.)

بهادر: سمو الأمير يا سيدتي.

جلنار: ما العمل يا رباه! لا تتركني وحدي يا بهادر!

بهادر: ولكن سيأمرني بالخروج.

جلنار: هذا صحيح، وتجب عليك طاعته، ولكن أرجو ألَّا تتركني بلا حماية (تتناول خنجرًا من حزامه) فهذا الخنجر يكفيني شره (يدخل الأمير من الشمال الأول).

الأمير (إلى بهادر)**:** أين الرجل الغريب الذي تركته هنا؟

بهادر: خرج يا مولاي.

الأمير: وما الذي حمله على الحضور؟

بهادر: إنه هارب من السجن يا مولاي.

الأمير: اخرج الآن.

(بهادر ينظر إلى جلنار.)

جلنار: بهادر، أطع سمو الأمير (يخرج بهادر من الباب الأول الشمال).

الأمير: من تراه يكون قد خانني؟

جلنار: إن الذي خانك يا مولاي هو نفس الشخص الذي أشار عليك بارتكاب هذا العمل الدنيء، المزري بشرف الأمير.

الأمير: وكيف ذلك يا جارية؟!

جلنار: وهو الذي جعل الروابط المقدسة، هزؤًا وسخرية، وقدَّمك لي باعتبار أنك زوجي، الفارس قطبزار.

الأمير: جلنار، أنا الأمير، وغير مرة شعرت بضميري يخز عزتي وكبريائي، وما دمت الآن قد عرفت مَن أنا فأرجو أن تصغي إليَّ!

جلنار: أتوسل إليك يا مولاي أن تتركني.

الأمير: أتركك! وأنت المرأة الوحيدة التي أحببتها حبًّا صادقًا حارًا؟

جلنار: اتركني يا مولاي من باب الشفقة بي، كن رحيمًا وارحمني!

الأمير: قبلة واحدة، واحدة فقط (يقترب منها).

جلنار (تشهر خنجرها لتضرب نفسها)**:** خطوة أخرى، وأقتل نفسي!

الأمير: ما هذا يا جلنار؟ هل تكرهينني إلى هذا الحد؟

جلنار: كلَّا يا مولاي، ولكني زوجة لرجل، فإمَّا أن يراني جديرة به، وإما ألَّا يرى لي أثرًا.

الأمير: عمَّن تتكلمين؟

جلنار: أتكلم عن زوجي الفارس قطبزار.

الأمير: لقد مات (يدخل قطبزار من الباب الأول الشمال).

قطبزار: لم يَمُت بعدُ يا مولاي، فشكرًا لكم على كريم عفوكم.

جلنار (ترمي الخنجر وتسرع إليه)**:** زوجي يحميني!

الأمير: زوجك! (قطبزار يذهب يمينًا ويغلق الباب وسائر الأبواب بسرعة ويأخذ المفاتيح معه) ماذا عملت يا سيدي؟

قطبزار (عند الباب اليمين)**:** أغلقت الأبواب يا مولاي، حتى لا يدخل أحد فيسمع ما لا يصح أن يسمعه أحد غيرك (يذهب إلى الوسط).

جلنار (لنفسها)**:** وكيف سينتهي هذا الأمر؟

قطبزار (بوحشية)**:** لو كان يريد السوء بزوجتي، شريف وجندي مثلي، لاتخذت منه في الحال غمدًا لسيفي؛ لأن المرء في هذه الأحوال لا يرجو صلحًا أو سلامًا، بل يتطلب ثأرًا وانتقامًا، ولكنك أميري يا مولاي (يقدم له سيفه) ولذلك أنزع سلاحي.

الأمير: إنك يا سيدي تكلم أمير داهشتان!

قطبزار: وهل أرى أمامي غيره؟ ولكني لا أستطيع امتلاك زمام يديَّ؛ ولذلك أجردهما من السلاح (يرمي سيفه بعيدًا) إنما يجب التفكير.

الأمير (بإجهاد)**:** تقدم يا سيدي، فقد راقتني جرأتك.

جلنار: اذكرْ أنه الأمير يا قطبزار.

قطبزار: نعم إنه سمو الأمير. يا مولاي، إن هذه المرأة الضعيفة التي أجمعتم رأيكم ومكائدكم على الإيقاع بها، قد حصلت على حماية سمو الأميرة.

الأمير: الأميرة!

قطبزار: نعم يا مولاي، ولقد كنت رسولها إلى الأميرة في القصر الأبيض.

الأمير: إذن فقد قابلت الأميرة؟

قطبزار: ستسمع كل شيء يا مولاي، فإني لما وصلت إلى القصر لم يسمح لي بالدخول، ورغمًا عن بنادق الحرس ورصاصهم ...

جلنار: إذن فقد كنت في خطر!

قطبزار: بالطبع، ولكني ضد الرصاص.

الأمير: أتمم حديثك!

قطبزار: تسلقت جدار البستان حيث تظلله بعض الأشجار، ثم انسللت إلى الداخل حيث سمعت صوت شخصين، أحدهما رجل والآخر امرأة، ولو أن المرأة متأثرة إلَّا أنها كانت تتكلم بعظمة، وأما الرجل فكان يتكلم بصوت مرتعد، وسمعته يقول: «مولاتي إنك مخدوعة، فزوجك سيكون الليلة بين ذراعي عشيقته في قصر في الغابة، وقد كلَّفت بعض رجالي أن يقتفوا أثره ويأتوني ببرهان خيانته.»

الأمير: مَن ذا الذي يجرؤ على أن يضع عليَّ رقيبًا!

قطبزار: أما الرجل فهو وزيرك بهروز، ذلك الوزير المحبوب، وأما السيدة فهي ... الأميرة.

الأمير: محض اختلاق! ولو صح ذلك ... (يذهب إلى الباب الشمال).

قطبزار (ببرود)**:** لقد نسيتم سموكم أني قد أغلقت الأبواب!

الأمير (غاضبًا)**:** قطبزار، افتح ذلك الباب!

قطبزار: إن ما أردت أن تلطِّخ به عرضي من العار، يلطخ به عرضك في هذه اللحظة، ومع ذلك فلا يمكنك الخروج من هذه الغرفة (الأمير يخفي وجهه في يديه ويسقط على مقعد) وكل دقيقة تمر عليك، هي بمثابة دهر من الألم والعذاب، ولا تستطيع الخروج من هنا، لتحقق ظنك وريبتك، فكل ما حملتنيه من الألم، أحمِّلك إيَّاه الآن، وخطواتك رهن أمري.

الأمير (يشير إلى الباب)**:** هلاكك يتوقف على ترددك لحظة واحدة!

قطبزار: هذا مزعج مخيف، أليس كذلك؟

الأمير: خذ سيفك! (ينهض) فإني لست الآن أميرًا؛ لأن خيانتك تجعلني أقف معك في مستوًى واحد، فدافع عن نفسك حتى لا أُعَدَّ قاتلًا!

جلنار (تذهب إلى الوسط، فيدفعها قطبزار إلى الوراء)**:** بالله يا مولاي!

الأمير (في الشمال)**:** خذ سيفك وإلَّا قتلتك!

قطبزار: لقد فاتتك الفرصة.

الأمير: فاتتني الفرصة؟ وكيف؟

قطبزار: متى تردد فارس شريف في الأخذ بثأر أميره؟! أتظن أني أبقيت على الرجل الذي اتخذ من شرفي سلمًا لِهَتْكِ حُرْمَة شرفك؟ كلَّا يا مولاي، فلقد ضربته! نعم ضربته يا مولاي، وصنت لك شرفك. وقد أتى الآن دورك في صَوْنِ شرفي والدفاع عنه (يركع للأمير مشيرًا إلى جلنار).

الأمير (يرفعه)**:** قم يا قطبزار.

(صوت طبول وصياح في الخارج: «الأمير»، «الأمير»! ثم تُدفع الأبواب مفتوحةً ويتدفق منها الأشراف.)

الضباط: إنه الأمير!

الأمير: نعم أيها السادة، فقد تفضلنا بزيارة قطبزار فارس سمرقند المغوار، وأحد رعايانا الذين امتازوا بالتفاني في الإخلاص لشخصنا (الكل يندهشون) يا أيها الفارس قطبزار، لقد عيَّناك واليًا على العاصمة.

قطبزار: وولاية الحدود خالية أيضًا يا مولاي.

الأمير: ولماذا تطلب ولاية الحدود بدلًا عن العاصمة؟

قطبزار: لأنها تبعد عن داهشتان بنحو مسيرة ليلتين، وهذا (يشير إلى جلنار) يضاعف فضلكم عليَّ يا مولاي، وزيادة على ذلك فليس لي هناك دائنون.

الأمير (مبتسمًا)**:** فليكن ما طلبت، ولقد عيَّنا تابعنا الوفيَّ الأمين الفارس قطبزار واليًا على ولاية الحدود.

الجميع: فليحيَ الأمير! فليحيَ الأمير! فليحيَ الأمير!

(ستار)

(انتهت الرواية)